روايات مصرية للجيب

رجل المستحيل

آخر الجبابرة

www.liilas.com/vb3

● رجل المستحيل ● آخر الجبابرة ● نبيل فاروق ● ٣٦ ● روايات مصرية للجيب

www.liilas.com/vb3

● آخر الجبابرة ●

● كيف بقى أحد الجبابرة الأقدمين هارباً منذ إنهاء الحرب العالمية الثانية حتى الآن ؟

● هل يمكن إعراج آخر الجبابرة هذا من دولة تطالب رأسه ؟

● ترى .. أينجح (أدهم صبرى) فى إنهاء هذه العملية أم يسقط فى براثن الثعابين الشرقية ؟

● اقرأ التفاصيل المثيرة .. لترى كيف يعمل (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

رجل المستحيل سلسلة روايات بوليسية مثيرة وأحداث بالأحداث المثيرة

٣٦

الثمن فى مصر ... وما يعادله بالدولار فى سائر الدول العربية ...

Evaluation copy

رجل المستحيل
سلسلة روايات مؤلف
للشباب (مغرة بالأحداث المثيرة
•
مصنف مصري مماثل في اللغة
الأصلية تحت أي عنوان أو الاختصار
أو النقل عن أي قصص أجنبية
•
مراجعة لغوية
الأستاذ / محمد فتحي عطا
•
رسومات
الأستاذ / إسماعيل فهمي
•
إشراف فني
الأستاذ / حمدي مصطفى
•
جميع الحقوق محفوظة للناشر
وكل اقتباس أو تقليد أو تزييف
أو إعادة طبع بالتروكس يعرض
المرتكب للمساءلة القانونية
•
تعرض هذا المصنف إلى عمل
سيؤدي أو تعديل أو حذف
شرائط فيديو المطبوع إلا بعد
الاتصال مع الناشر كتابة

طبعة ونشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع ١٠ ، ١٦ شارع كامل
صدقي الفجالة ـ ٤ شارع الإسحاقي شبرا الكبرى روكسي مصر الجديدة ـ
القاهرات ت: ٨٢٩٢٩٨ ـ ٩٠٨٤٥٥ ـ ٢٥٨٦١٩٧ ج م ع

رجل المستحيل

(أدهم صبري) .. ضابط مخابرات مصري في الخامسة والثلاثين من عمره ، يرمز إليه بالرمز (ن ـ ٩) .. حرف (النون) ، يعني أنه فئة نادرة ، أما الرقم (واحد) فيعني أنه الأول من نوعه ، هذا لأن (أدهم صبري) رجل من نوع خاص .. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة ، من المسدس إلى قاذفة القنابل .. وكل فنون القتال ، من المصارعة وحتى التايكوندو .. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لستّ لغات حيّة ، وبراعته الفائقة في استخدام أدوات التنكّر و (المكياج) ، وقيادة السيارات والطائرات ، وحتى الغواصات ، إلى جانب مهارات أخرى متعدّدة .

www.kitab.com/vb3
Evaluation copy

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

www.liilas.com/vb3

١ ــ ذئب وارسو ..

رفع رجل الجمارك البولندى رأسه ، يبشرّس فى ملامح الراكب الذى وصل توًا بصحبة زوجته ، على متن الطائرة القادمة من القاهرة ، ثم جذب الحقيبة المتوسطة الحجم التى وضعها الراكب أمامه ، وفتح قفلها ، وهو يقول فى صرامة اكتسبها من طول عمله فى الجمارك :

ــ هل معكما مطبوعات أو عملات شرقية أو .... ؟

قاطعه الراكب فى ارتياك يوحى بعدم اعتياده مثل هذا النوع من الإجراءات :

ــ إننا لا نحمل سوى ملابسنا ، فلن نقضى أكثر من أسبوع .

أخذ رجل الجمارك يعبث بمحتويات الحقيبة ، وهو يخلس النظر إلى الراكب ، الذى عدّل من وضع منظاره الطبّى ، ثم أعاد خصلة نافرة من شعره الأسود الفاحم إلى

Evaluation copy

مكانها ، وداعب شاربه فى توتُّر ، دفع رجلَ الجمارك لسؤاله فى خبث :

— ماذا يقلقك أيها السيِّد ، ما دمت لا تحمل شيئًا من الممنوعات ؟

تطوَّعت السيِّدة المصاحبة للراكب ، بإجابة السؤال قائلة :

— من المؤسف أن زوجى يرتبك دائمًا ، حينما يواجه أية إجراءات طويلة .

ابتسم رجل الجمارك فى مكر ، وأخذ يفتش محتويات الحقيبة بدقة متناهية ، ويدق على جدرانها ، ويفتش قاعها إلى أن تأكَّد له خلوّها التام من أيّة ممنوعات ، فمدَّ يده إلى السيِّدة قائلًا فى صرامة :

— حقيبتك من فضلك .

ناولته السيِّدة حقيبتها ، وهى تقول فى لامبالاة :

— لست أحمل سوى بعض مساحيق التجميل والحلىّ .

تأكد رجل الجمارك من صدق قولها ، وقال وهو يعيد الحلىَّ إلى الحقيبة ؟

— هل هذه الحلىّ مثبتة بجواز السفر يا سيِّدتى ؟

أجابته فى هدوء :

— نعم .. إنها كذلك .

فتح الرجل جوازى سفرهما ، وألقى عليهما نظرة فاحصة سريعة ، ثم أعادهما إليهما مبتسمًا ، وهو يقول :

— معذرة لطول الإجراءات يا سيِّد (أسامة صلاح) ، ويا سيِّدة (ماجدة) .. إنه القانون .

تناول السيد (أسامة) جوازى سفره وزوجته ، وهو يعتذر بنظراته الطُّنّ ويقول :

— لا عليك ياسيِّدى .. مادام هو القانون ، فليس أمامنا سوى طاعته .

حمل (أسامة صلاح) حقيبته ، وسار وإلى جواره زوجته تتأبط ذراعه ، وهى تتهدَّد فى ارتياح ، وتشكر ربَّها ؛ لأن رجل الجمارك لم يحاول معرفة نوع مساحيق التجميل التى تحملها فى حقيبتها ، وابتسمت ابتسامة هادئة ، حينما تصوَّرت ما كان يمكن أن يحدث ، لو أنه حاول تحليل هذه المساحيق .. كان سيصاب بصدمة ولا شك .

www.kitab.com.kw
Evaluation copy

ثم التفتت إلى زوجها الذى سار صامتًا ، وهو يعرج فى شكل غير ملحوظ ، وهمست فى أذنه بالعربية :

ـــ أما زالت ساقك تؤلمك ياسيادة العقيد ؟

ابتسم زوجها ، وقال فى هدوء :

ـــ ليس كسابق عهدها يا عزيزتى .

ثم توقف خارج المطار ، وأشار إلى إحدى سيارات الأجرة ، وهو يقول ساخرًا :

ـــ يبدو أن الرصاصة التى اخترقت ساقى ، قد أصابت هدفها لأول مرة .

ابتسمت الفتاة التى تتظاهر بكونها زوجته ، وهى تتدسُّ على المقعد الخلفى للسيارة الأجرة ، وسمعته يقول للسائق بالإنجليزية :

ـــ فندق (وارسو) أيها السائق .

ثم استرخى فى مقعده ، وأغلق عينيه ، ولم تحاول هى إزعاجه ، فاكتفت بأن اختلست النظر إليه ، ثم استرخت بدورها فى هدوء ..

ولم يكن الرجل نائمًا ، وإنما كان يسترجع فى ذاكرته الحديث الذى دار بينه وبين مدير المخابرات المصرية فى صباح أمس .. ذلك الحديث الذى قاده إلى تلك المهمة التى هو بصددها الآن ...

* * *

كانت الساعة تشير إلى الحادية عشرة صباحًا ، حينما دخل إلى حجرة مدير المخابرات المصرية ، الذى استقبله مبتسمًا ، وأشار إليه بالجلوس على المقعد المقابل لمكتبه ، وهو يقول :

ـــ كيف حالك يا (أدهم) ؟.. هل شفيت ساقك اليسرى ؟

ابتسم (أدهم صبرى) ، وقال :

ـــ ليس تمامًا يا سيِّدى ، ولكنها لم تعد تؤلمنى .

حرَّك مدير المخابرات رأسه دلالة على الفهم ، ثم تناول صورة فوتوجرافية من أمامه ، وناولها إلى (أدهم صبرى) وهو يقول :

www.kitab.com/ub3
Evaluation copy

انظر إلى صاحب هذه الصورة جيدًا يا (ن ــ ١) ، وأخبرني ملاحظاتك عنه .

تناول (أدهم) الصورة الفوتوجرافية ، ونظر إلى الوجه الموجود بها جيدًا .. كانت لرجل في السبعين من عمره تقريبًا ، فضيّ الشعر ، ناعمه ، يبدو في ملامحه أثر وسامة قديمة ، وتنمُّ عيناه الضيقتان الزرقاوانِ عن صرامة وبأس ، على حين توحي ذقنه العريضة بالقوة والحزم .. وتلوح على جبهته العريضة علامات الذكاء . كان وجهه في مجمله يوحي بالجدية وقوة التحكم .

أعاد (أدهم) الصورة إلى مدير المخابرات ، وهو يقول :

ــ إنها صورة لرجل ألماني أو نمساوي ، في العقد السادس من عمره تقريبًا .. بالغ الذكاء برغم العزيمة ، يعمل في الجهاز العسكري أو المخابرات ، ولكنه يكن في صدره الكثير من القسوة .

ابتسم مدير المخابرات ، وقال وهو يسعيد الصورة :

ــ رائع يا (ن ــ ١) .. إنك لم تفقد فراستك بعد ..

ثم اعتدل ، وقال في جدية شديدة :

ــ هذا الرجل يدعى (فون هملن) ، وهو باختصار آخر رجال الجستابو ، الباقين من الحرب العالمية الثانية .

اتسعت عينا (أدهم) دهشة ، وهو يقول :

ــ الجستابو ؟.. جبابرة الاستجواب الألمان ؟.. وكيف بقي إلى يومنا هذا ؟.. ألم يحاكم بتهمة الإجرام الحربي ؟

هز مدير المخابرات رأسه نفيًا ، وقال :

ــ إن (فون هملن) كان من أكثر رجال الجستابو قسوة وحزمًا .. ولقد طالبت معظم الجهات برأسه ، بعد هزيمة (ألمانيا) في الحرب العالمية الثانية ، ولكنه نجح في الفرار والاختفاء طيلة أربعين عامًا ، ولقد كان في الخامسة والعشرين حينما سقطت دولة الرايخ ، وهو الآن في الخامسة والستين ، وإن لم يفقد الكثير من ذكائه ، ولياقته البدنية المرتفعة .

www.liilas.com/vb3
Evaluation copy

سأل (أدهم) فى دهشة :

ـ وما علاقتنا نحن برجل الجستابو السابق هذا ؟

صمت مدير المخابرات لحظة ، ثم تابع وكأنه لم يسمع سؤال (أدهم) :

ـ ولقد اختبأ (فون هملن) فى ألمانيا الشرقية ، طيلة هذه السنوات الأربعين ، منتحلاً أسماء أشخاص مختلفين .. بل لقد نجح فى الانضمام إلى جهاز مخابرات ألمانيا الشرقية ، طيلة خمس وثلاثين عامًا ، إلى أن كشف جهاز المخابرات السوفيتى حقيقته .

أطلق (أدهم) من بين شفتيه صفيرًا قصيرًا ، ثم قال فى سخرية :

ـ وهل بقى منه ما يكفى لملء فنجان شاى يا سيدى ؟

ابتسم مدير المخابرات ، وقال فى هدوء :

ـ بل بقى منه ما يكفى لملء خلسه بأكملها يا (ن ـ ١) ، فلقد استغل (فون هملن) تصريح السفر الذى يحمله ، وأسرع بمغادرة (برلين) فور معرفته بكشف

أمره على أول طائرة ، ولكنها لسوء حظه كانت متجهة إلى (وارسو) فى (بولندا) ، حيث وجد نفسه سجينًا هناك ، بعد أن وزعت المخابرات الألمانية الشرقية صورته فى كل مطارات الدول الشرقية .

هزّ (أدهم) كتفيه ، وقال :

ـ مازلت أسأل عن علاقتنا بهذا الأمر يا سيدى ؟

ابتسم مدير المخابرات ، وقال :

ـ مازلت متعجلاً كعادتك يا (ن ـ ١) .

ثم تحوّل إلى الجليسة وهو يستطرد :

ـ لقد اختار (فون هملن) مصر دون دول العالم أجمع ، ليطلب منّا مساعدته فى الهرب ، ومنحه حق اللجوء السياسى .

ظهرت فى وجه (أدهم) علامات الإعجاب ، وهو يقول :

ـ يا له من رجل !! كيف فعل هذا ؟

قال مدير المخابرات :

Evaluation copy

— لقد كشف لنا عن كثير مما يعلمه عن رجال المخابرات الشرقية ، برسالة شفرية ، أرسلها إلى مكتبنا فى ألمانيا الغربية ، والذى أرسلها لنا بدوره .. ولقد أوضحت الرسالة أن (فون هملن) يعلم جيدًا أننا لن نحاول إحراجه من (بولندا) ، متحدين علاقتنا الحسنة بالدول الشرقية ، وأننا لن نمنحه حق اللجوء السياسى ، إلا إذا وصل بالفعل إلى مصر ؛ ولذلك فقد حاول جذبنا إلى مساعدته ، أو بمعنى أدق إغرائنا بذلك ، فأخبرنا فى الرسالة أنه يحمل معه ملفًا يحوى كل ما يعلمه عن المخابرات الشرقية ، ويقول إنه النسخة الوحيدة ، وإنه مستعد لتسليمنا إياه ، لو أننا ساعدناه على الهرب من (بولندا) ، وإلا فسيعيده إلى المخابرات الشرقية .

هز (أدهم) رأسه فى جدل ، وقال :

— يبدو أن (فون هملن) هذا سيحوز إعجابى .. لقد خطط للأمر بمنتهى الدقة والبراعة ، حتى أننا لن نستطيع مقاومة هذا الإغراء .. ملفنا الكامل فى المخابرات الشرقية مقابل تهريبه .. أعتقد أنها صفقة رائعة يا سيدى .

ظهر القلق على وجه مدير المخابرات ، وهو يقول :

— إنها صفقة رائعة ولا شك يا (ن ـ ١) ، ولكن هناك عقبات ضخمة تعترض طريقها .. علاقتنا الحسنة بـ (بولندا) ، وكم الخاطرة المحيط بالأمر ، بالإضافة إلى أن (بولندا) دولة شبه محاصرة بالدول الشرقية ، التى تدين بالولاء للمخابرات السوفييتية ، فمن الجنوب (تشيكوسلوفاكيا) تليها (المجر) ، ومن الشرق (الاتحاد السوفيتى) نفسه ، ومن الغرب (ألمانيا الشرقية) .

التمعت عينا (أدهم) جذلًا ، وهو يقول :

— مازال أمامنا الشمال يا سيدى .. فهناك البحر البلطى ، الذى يقودنا إلى (السويد) .

ابتسم مدير المخابرات ، وقال فى إعجاب :

— هذا بالضبط ما قدره خيراؤنا يا (ن ـ ١) ..

ثم تناول جوازى سفر من مكتبه ، قدمهما إلى (أدهم) قائلًا :

Evaluation copy

ـ أنت منذ هذه اللحظة (أسامة صلاح) ، مؤلف مصرى ، وستذهب فى رحلة سياحية إلى (وارسو) ، بصحبة زوجتك (ماجدة) ، التى لن تكون سوى الطبيب (منى توفيق) .

وصمت لحظة عاد يقول بعدها :

ـ لن تكون مهمتك سهلة يا (ن ـ ١) .. ولابد لك من أن تتحوّل إلى ذئب ، حتى يمكنك تنفيذها .. حاول أن تنجح ..

نهض (أدهم) مبتسماً فى هدوء ، ومد يده يصافح مدير المخابرات ، قائلاً فى ثقة :

ـ سننجح بإذن الله يا سيّدى .. سننجح .

* * *

تردّدت الكلمة الأخيرة فى ذهن (أدهم) أكثر من مرة ، حتى شعر بالسيّارة تتوقف ، وسمع صوت سائقها ، وهو يقول فى لهجة وَدود :

ـ ها قد وصلنا إلى فندق (وارسو) يا سيّدى .. منذ هذه اللحظة تبدأ رحلتك الممتعة فى (بولندا) .

ابتسمت (منى) فى سخرية ، وقالت وهى تختلس النظر إلى (أدهم) :

ـ نعم أيها السائق .. الآن يبدأ كل شىء .

* * *

Evaluation copy

٢ ــ قلب الخطر ..

لم يكد (أدهم) و (منى) ينتهيان من وضع حقيبتيهما بالفندق ، ويبدلان ثيابهما ، حتى هبطا إلى البهو ، وتقدم (أدهم) إلى موظف الاستقبال ، وسأله متظاهرًا بالارتباك ، شأن الرجل الذى يغادر وطنه للمرة الأولى :

ــ كيف يمكننى الوصول إلى قلب المدينة ؟ .. أعنى .. هل يمكننى استئجار سيارة ؟ أو ....

قاطعه موظف الاستقبال فى برود ، قائلًا :

ــ المواصلات العامة متوافرة للغاية فى (وارسو) يا سيدى ، ويمكننى أن أرشدك إلى أيها يوصلك إلى غايتك ، ولكننى لا أنصح بالتجوال خارج الفندق بعد الثامنة مساءً ، فالاضطرابات العمالية تزايد هذه الأيام .

سأله (أدهم) فى خبث :

ــ هل تعنى أن الأمن غير مستتب هذه الأيام ؟

شحب وجه الرجل ، وتلفت حوله فى ذعر ، وهو يقول بصوت أقرب إلى الهمس :

ــ إننى لم أقل ذلك يا سيدى .. إننى لم أشر إلى الأمن مطلقًا ..

تظاهر (أدهم) بعدم ملاحظته ما أصاب الرجل ، وقال وهو يغادر الفندق ، مصطحبًا (منى) :

ــ حسنًا أيها الرجل .. سنتبع نصيحتك ، ولن نبتعد كثيرًا

وما أن غادرا الفندق ، حتى سألته (منى) فى دهشة :

ــ لم سألته عن التوجه إلى قلب المدينة ؟.. أنت تعلم مثل أن (فون هملن) يختبئ فى طرف المدينة بجوار ....

قاطعها (أدهم) فى صرامة قائلًا :

ــ احذرى النطق باسم الرجل مرة ثانية أيتها الثقيب .. إن مجرد ذكر اسمه قد يقودنا إلى استجواب أسوأ مما كان يفعله الجستابو .

www.kitab.com
Evaluation copy

سأله فى دهشة :

ـــ لماذا تبدو حذرًا إلى هذا الحدّ هذه المرة ؟

توقف (أدهم) فجأة ، واستدار إليها ، وقال فى ضيق وحزم ، وبلهجة بطيئة قاسية :

ـــ اسمعى أيتها الغبية .. إننا هنا فى دولة تحرص أشد الحرص على مراقبة كل أجنبى يضع قدمه على أرضها ، واعتباره جاسوسًا إلى أن يثبت العكس ، بسبب حالة الاضطراب ، التى تمرّ بها ، ولقد أسندت إلينا مهمة تعدّ غاية فى الخطورة .. فلابدّ لنا من مقاومة رجل البحث عنه مخابرات الجانب الشرقى من العالم ، ومحاولة تهريبه إلى دولة أخرى ، وليس لنا سلاح إلّا مهاراتنا الشخصية .. لا أسلحة .. لا مسدسات .. ليس إلّا تلك الكيماويات التى تخبئ فى أدوات (مكياجك) .. ولا تتصوّرى أن مخابرات (ألمانيا الشرقية) ستتركنا نفعل ذلك فى هدوء .. إنهم لن يسمحوا بفقد هذا الملف الخطير .. وفى ظل كل هذه الظروف المعقّدة لابدّ لنا من المبالغة فى الحذر .. هل اسوعبت الأمر أو أكرره مرة أخرى ؟

أومأت برأسها علامة الفهم فى مزيج من الخوف والغضب ، فاعتدل وعاد إلى سيره ، قائلًا فى هدوء مفاجئ .

ـــ والآن هلمّى ، فلنختصر الوقت ، ولنذهب إليه مباشرة .

* * *

قفز (فون هملن) من فراشه الصغير ، وانتزع مسدسه الضخم من تحت الوسادة فى توتّر واضح ، حينما سمع صوت دقات طرقات هادئة على باب الحجرة الصغيرة ، التى استأجرها فى حىّ من أحياء (وارسو) البعيدة عن قلب المدينة ، واقترب فى قلق من الباب ، وهو يقول فى صوت أجش غليظ :

ـــ من بالباب ؟

جاءته الإجابة باللغة الألمانية السليمة :

ـــ أنا (رمسيس) .. لقد وصلت توًا بحسب الخطة (هرم) .

Evaluation copy

تنهّد (فون هملن) فى ارتياح ، وفتح الباب وهو يختبئ خلفه فى حذر ، دفعه إلى تصويب مسدسه إلى (أدهم) و (منى) ، حينما دخلا إلى الغرفة الصغيرة ، حتى أن (أدهم) ابتسم فى سخرية قائلاً :

ـ أعِد مسدسك إلى غمده يا هر (هملن) .. إننا لا نوى قتالك .

أغلق (فون هملن) باب الحجرة ، وأعاد مسدسه الضخم إلى الجراب المعلق تحت إبطه الأيسر ، وهو يتفرس ملامح (أدهم) و (منى) فترة طويلة ، قبل أن يقول :

ـ هل تأكّدتما أن أحدًا لا يتبعكما ؟

ابتسم (أدهم) ، وقال فى هدوء :

ـ هل نسيت أننا أيضًا محترفون يا هِرّ (هملن) ؟

اقترب (فون هملن) من (أدهم) ، وقال وهو ينظر فى عينيه :

ـ حتى المحترفين يصيبهم الخطأ أيها المصرى .

أشاح (أدهم) بذراعه فى لامبالاة ، وقال :

ـ دعنا من هذه السخافات يا (هملن) .. هل معك الأوراق ؟

ابتسم (فون هملن) ابتسامة خبيثة ، وهو يقول :

ـ سؤالك هذا هو السخافة بعينها أيها المصرى .. إنكم لن تحصلوا على الملف ، قبل أن أصل إلى القاهرة .

نظرت إليه (منى) فى ضيق ، ولكنها لاذت بالصمت ، على حين ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال وهو يجلس فى لامبالاة فوق طرف الفراش :

ـ إننا نحاول تهنئتك ، ونحذرك جهاز المخابرات الشرقى بأكمله ، لمجرد قبول مالك يا (هملن) .. لابدّ لى من التأكّد من وجود الملف أولاً .

زمجر (هملن) ، وهو يقول فى إصرار عجيب :

ـ أنا لست غبيًا أيها المصرى .. لابدّ أن أصل أولاً إلى القاهرة ، ولن أعطيكم أية ضمانات .. بل سأسلّم هذا الملف إلى (الموساد) لو أنكم رفضتم .

هبّ (أدهم) واقفًا ، وقال فى غضب :

Evaluation copy

ـ هل تهددنا أيها الوغد ؟

ضرب (هملن) الأرض بقدمه فى غضب ، وقال :

ـ لك أن تتصوّر ما يحلو لك أيها المصرى .. هذه كلمتى الأخيرة .

التقت نظراتهما فى تحدٍّ وعناد وإصرار ، وكاد الأمر ينقلب إلى معركة ، لولا أن استعاد (أدهم) هدوءه ، فعقد ساعديه ، وقال :

ـ إنك لا تستطيع أن تفعل كل هذا دون دليل يا (هملن) .

ابتسم (فون هملن) ، وقال فى هدوء مماثل :

ـ وأنت لا تتصوّر أن أخاطر بإلقاء نفسى بين أيديكم ، وفى عاصمتكم وأنا أخدعكم .

صمت (أدهم) فترة ، ساد فيها الصمت التام فى الغرفة ، ثم ابتسم وقال :

ـ أنت على حق .. سأقبل المخاطرة .

مدّ (فون هملن) كفّه الكبيرة نحو (أدهم) ، وهو يقول :

ـ معذرة لاستقبالى الحاد .

صافحه (أدهم) ، وهو يقول :

ـ لا عليك .. إن الأعصاب الملتهبة المتوتّرة ، تفعل أكثر من ذلك .

استدار (فون هملن) إلى (منى) ، فحياها بإيماءة من رأسه ، وهو يقول :

ـ مرحبًا يا سيّدتى .. لقد أغاثنا النجّار .

[illegible] (منى) [illegible] بعبارة مجاملة ، ولكنها لم تجد الفرصة لذلك .. إذ تصاعد صوت طرقات قوية على باب الحجرة ، فصاح (فون هملن) فى جزع :

ـ أيها الغبيّان .. لقد تبعوكما إلى هنا .

قال (أدهم) فى إصرار :

ـ إن أحدًا لم يتبعنا ..

وفى هذه اللحظة تعالى صوت ألمانى ، تشوبه الفكاهة الروسية يقول :

www.liilas.com/vb3
Evaluation copy

ـ افتح الباب يا (ڤون هملن) .. لقد وقعت فى أيدينا .. لا تحاول الهرب ، فالمنـــدق محاصر من كل الاتجاهات .

شحب وجه (منى) ، واربدّ وجه (ڤون هملن) ، على حين ابتسم (أدهم صبرى) فى سخرية ، وهو يقول فى هدوء :

ـ يبدو أننا لن نحتاج إلى التأكد من وجود المنفذ يا هرّ (هملن) .. فقد انتهت مهمتنا قبل أن تبدأ .

* * *

٣ ـ الفأر القاتل ..

جذب (ڤون هملن) إبرة الأمان بمسدسه ، وسأل فى توتر :

ـ ماذا نفعل ؟.. هل نستسلم ؟

مطّ (أدهم) شفتيه ، وقال فى هدوء :

ـ يا لها من فكرة سخيفة !!

عاد صوت الطرقات بصورة أعنف ، وارتفع الصوت الألمانى الروسى ، يقول فى لهجة شديدة ، لا تقبل الشك :

ـ سنعدّ حتى الثالثة ، ثم نطلق النار من كل الاتجاهات يا (ڤون هملن) .

وفجأة .. ولدهشة (هملن) و (منى) ، ارتفع صوت (أدهم) عاليًا بلغة ألمانية سليمة ، ولكنة شرقية واضحة ، يقول :

ـ سأستسلم يا سيّدى .. ولكننى لست (ڤون هملن) هذا .

Evaluation copy

ثم التفت إلى (هملن) وسأله :

ـ أى اسم انتحلته لاستئجار هذه الغرفة ؟

أجاب (هملن) الذى لم تتلاشى دهشته بعد :

ـ (هانز فريدريش) .

أشار (أدهم) إلى صوان متوسط الحجم فى ركن الغرفة ، وقال فى عجلة وهو يخلع معطفه :

ـ هيا بسرعة .. اختبئا هناك .

أسرع (هملن) و (مى) لإطاعة الأمر ، وقال الأول فى توتر ، وبصوت هامس :

ـ ليست هناك فرصة .. سيقتلونك .

هزّ (أدهم) كتفيه فى لامبالاة ، وابتسم فى سخرية ، ثم أسرع يرسم على وجهه علامات خوف مفتعل ، وهو يفتح باب الغرفة .

* * *

كان أول ما طالع (أدهم) ، وجه يشبه (وجه القأر) ، نحيل طويل ، وأسنان أمامية كبيرة بارزة ، وأذنان

كبيرتان ، وعينان زرقاوان ، وشعر أشقر ناعم ، ومن خلفه ظهر أربعة رجال مسلحين بالمدافع الرشاشة ، وكان (وجه القأر) يحمل مسدسًا ضخمًا من نوع (الوويس) ، ذى الساقية الدوّارة ، واتسعت عيناه فى دهشة صادقة ، وهو يحدّق فى وجه (أدهم) ، قبل أن يغمغم فى غضب :

ـ من أنت ؟.. أنت لست (فون هملن) !!

قال (أدهم) فى صوت حرص على أن يخرجه من بين شفتيه مرتعدًا خائفًا :

ـ هذا ما قلته يا هِرّ .. ألا لست (فون هملن) .

جذب (وجه القأر) (أدهم) من معطفه فى قسوة ، وقال :

ـ أين هو ؟.. أين اختفى ؟

أشار (أدهم) إلى الصوان ، وقال هامسًا :

ـ إنه يختبئ هناك يا هِرّ ..

نظر (وجه القأر) إلى الصوان فى شكّ وحذر ، ثم مرّ بيديه على جسد (أدهم) فى سرعة وخبرة ، وتأكد من أنه لا يحمل سلاحًا ، ثم همس فى زمجرة خافتة :

www.Elias.com.lb
Evaluation copy

ـ لا أظنه بهذا الغباء .

همس (أدهم) متظاهرًا بالخوف والخضوع :

ـ أقسم لك أنه هنا يا هرّ .. هل تتصوّر أن أكذب عليك ، وأنا بين يدى رجالك ؟

قطّب (وجه القمر) حاجبيه ، ودفع (أدهم) جانبًا ، ثم استدار نحو الصوّان ، وصوّب رجاله مدافعهم الرشاشة إليه ، على حين ارتفع صوته قائلًا :

ـ لقد انكشف أمرك يا (فون هملن) .. اخرج من هذا الصوان ، أو أحرقك وإياه إلى مصطفى

ولكنه ارتجف حينما سمع صوت (أدهم) الساخر يقول :

ـ هل صدّقت هذا يا (وجه القمر) الغبىّ ؟

* * *

استدار (وجه القمر) فى غضب ، لم يلبث أن تحوّل إلى ذهول ، حينما وقع بصره على (أدهم) ، وهو يعمل فى سرعته ومبادرته المعهودة المذهلة ...

من العجيب فيما يخص (أدهم صبرى) ، أنه قادر على السيطرة على أطرافه الأربعة فى آن واحد ، وتحريكها فى تناسق عجيب ، بحيث يساوى وحده أربعة رجال أشدّاء .. ففى الثانية الأولى لتحركه ارتفعت قدماه ، لتركلا مدفعين رشاشين ، فى نفس اللحظة التى تحركت فيها قبضتاه ، فهشّمت الجفن فكّ أحد الرجال الأربعة ، وحطّمت اليسرى أنف الثانى ، ولكنه ما كاد يهبط على قدميه ، حتى التوت قدمه اليسرى تحت ثقله ، إذ كان قد نسى فى غمرة حماسه إصابة مرصاصة منذ أمد قريب ، ولقد شعر هو بالآلام المبرحة ، ولكن الآخرين لم يلاحظوا ذلك ، إذ عادت قبضتاه تتحركان لتهبطا على أنف الرجل الثالث ، وعنق الرابع .. وحينما تحامل على ساقه المصابة ، واستعاد توازنه ، كان الرجال الأربعة قد فقدوا الوعى ، ولم يبق أمامه سوى (وجه القمر) .. وتغلّب هذا الأخير على ذهوله بسرعة ، ورفع مسدسه الضخم فى وجه (أدهم) ، ولكنه تلقّى ضربة قوية من حافة يد (أدهم) ، طار لها المسدس بعيدًا ،

Evaluation copy

وقبل أن يفتح فمه فى طلب النجدة ، تحطَّم أنفه الطويل ، إثر لكمة ساحقة ، ألقت به فى غيبوبة طويلة ..

وقبل أن يستقر جسد (وجه القمر) على أرضية الغرفة ، كان (أدهم) قد قفز نحو الصوان ، وفتحه قائلًا :

ـ هيَّا بنا .. لابدَّ من مغادرة المكان بأقصى سرعة ممكنة .

خرج (هملن) من الصوان فى ذهول ، وهو يحدِّق فى الأجساد المتعثرة على أرض الغرفة ، وكانت (منى) تقفز خارجة ، حينما سمعته يغمغم مذهولًا :

ـ أفعلت كل هذا دون سلاح ؟!

قال (أدهم) ، وهو يتحرَّك فى سرعة :

ـ فلنؤجل هذا الحديث إلى ما بعد يا (هملن) ، أمَّا الآن فأسرع إلى أعلى المنزل .. هذه هى فرصتنا الوحيدة .

تبعه (ڤون هملن) ، وتبعته (منى) غدوًا إلى أعلى السُّلَّم ، على حين قال (هملن) :

ـ ربما كانوا يضعون حراسة مكثَّفة فوق السطوح .

توقَّف (أدهم) أمام الباب المفضى إلى السطح ، وأخذ يعالجه فى سرعة ومهارة وهو يقول :

ـ كلَّا يا (هملن) .. إنهم لن يفعلوا هذا ، فلن يتصوَّروا مطلقًا أن تنجح فى التغلُّب على خمسة رجال مسلَّحين .. ربما وضعوا هذه الحراسة فى الخارج ، خشية أن نلجأ للفرار من العاصفة .

ومع آخر كلماته انفتح القفل ، واندفع الثلاثة إلى السطح ، وأشار (أدهم) إلى سطح المنزل المجاور قائلًا :

ـ سنقفز عبْر الأسطح إلى الشارع الخلفى ، ثم نسرع بالهرب .

ودون تردُّد ، أسرع (هملن) إلى حافة السطح ، وقفز قفزة عبَر بها الأمتار الثلاثة التى تفصل سطح المنزل عن المنزل المقابل ، ليستقر فى رشاقة على السطح المقابل ،

Evaluation copy

وتبعه (منى) ، ثم (أدهم) ، الذى شعر بألم شديد حينما استقر فوق السطح ، بسبب ساقه المصابة ، ولكنه واصل مع رفيقيه القفز من منزل إلى آخر ، حتى ابتعدوا بالقدر الكافى ، فجلست (منى) على حافة السطح الأخير تلهث ، على حين غمغم (فون هملن) :

ـ كيف توصّلوا إلينا يا ترى ؟

قال (أدهم) :

ـ إنهم لم يتبعونا بالكلب ، وإلا كنت قد لاحظت ذلك ، ثم إنه ما من سبب يدعوهم للشك فينا ، ربما قادتهم تحرياتهم إليك !

مطّ (هملن) شفتيه ، وقال :

ـ لن يدهشنى ذلك ، فأنا أعلم كيف أن (فولف جانج) هذا شيطان قاتل .

سأله (أدهم) :

ـ من (فولف جانج) هذا ؟

قال (هاملن) فى هدوء :

ـ إنه ذلك الرجل الذى يحمل (وجه الفأر) .. إنه زميل سابق فى مخابرات (ألمانيا الشرقية) ، وكنا نطلق عليه هناك اسم (الهامستر) ، وهو حيوان شبيه بالفأر ، ينتشر وجوده فى غابات (ألمانيا) ، ويسعد الأطفال بتربيته كحيوان أليف ، وهذا يخالف طبيعة (فولف) تمامًا ، فهو من أشرس وأقسى من عرفت فى حياتى كلها .. إنه يعذّب خصومه دون أن يطرف له رمش .

قال (أدهم) فى سخرية :

ـ ألا يذكرك هذا بأحد ما فى المخابرات ؟

صمت (هملن) لحظة ، ثم قال فى برود ، متجاهلًا عبارة (أدهم) :

ـ والآن ماذا نفعل ؟

هزّ (أدهم) كتفيه ، وقال :

ـ لست أدرى .. ربما كان علينا أن نفكّر معًا فى خطّة مناسبة .

ضاقت عينا (هملن) وهو يقول :

Evaluation copy

ـ عليك أن تسرع فى التفكير إذن ، فإن (فولف جانج) لن يهدأ قبل أن ينشب فينا مخالبه ، ويمزقنا إربًا .. لقد أصبحنا مطاردين من (وجه القدر) القاتل أيها المصرى .

www.liilas.com|vb3

٤ ـ مطاردة الموت ..

زمجر (فولف جانج) فى مزيج من الألم والغضب ، حينما أخذ طبيب الشُرطة البولندية يضمّد جروحه ، ونظر إليه مدير الشُرطة فى ضيق ، وقال :

ـ سبق أن طلبت منك أن تترك هذه المهمة لنا يا هِرْ (فولف) .

وهدر (فولف) بما يعنى حاجبيه ، وقال :

ـ إن كبار دولتنا قد اتفقوا على أن نتولى نحن الأمر يا (كالسكى) .

زفر (كالسكى) فى حنق ، وقال وهو يشيح بوجهه بعيدًا ، مداريًا ما يبدو عليه من غضب واشمئزاز :

ـ ولكنك لا تعرف ظروف وأساليب دولتنا ، كما نعرفها يا هِرْ (فولف) .

مطّ (فولف) شفتيه فى غطرسة ، وهو يقول :

Evaluation copy

— من قال هذا ؟.. هل نسيت أنني المكلف بشئون (بولندا) فى مخابراتنا يا (كالسكى) .

قال (كالسكى) :

— لم أنس ذلك يا هِرْ ...

وضغط بقسوة على حروف كلمة (هِرْ) ، علّ (فولف) ينتبه إلى أنه يخاطبه باسمه مجردًا منذ البداية ، ثم استطرد :

— ولكن (فون هملن) ...

قاطعه (فولف) فى غضب :

— لقد هرب (فون هملن) بمساعدة ألمانى آخر ، يتحرك كالشيطان فى سرعته ومهارته .. ولا تنس أنه تغلب وحده ودون سلاح على أربعة من أشد رجالك ، كانوا يحملون المدافع الرشاشة .

شعر (كالسكى) بالحرج ، حتى أنه لم يجد ما يقوله ، على حين استطرد (فولف) فى لهجة أصبغ عليها الأهمية :

— ثم إننى أعلم إلى أين سيوجّه (فون هملن) ،

فلا ريب أنّ هذا الشيطان الذى يساعده من مخابرات (ألمانيا الغربية) .

سأله (كالسكى) فى دهشة :

— ولكنك قلت إن لهجته كانت تحمل بعض الروسية و ....

قاطعه (فولف) فى غضب :

— إن المخابرات الروسية لن تعمل ضد أصدقائها ورجالها الشرقيين .

أزدرد (كالسكى) لعابه ، وقال فى صوت أقرب إلى الهمس :

— بالطبع يا هِرْ (فولف) .. بالطبع .. ولكن أين تتوقع أن يذهب (فون هملن) ، بمساعدة هذا الألمانى الغربى ؟

ابتسم (فولف) فى خبث وشراسة ، وهو يخرج من جيب معطفه خريطة ضخمة تمثل (بولندا) ، فردها أمامه فوق المكتب ، وأشار بأصابعه قائلًا :

www.liilas.com/vb3
Evaluation copy

ـ إن (فون هملن) ، كان يخفى هذا فى (وارسو) ، كما علمنا من تحرياتنا عن المستأجرين ، ولقد علم الآن أن أمره قد كُشف ، كيف يتصرّف بعد ذلك ؟

هزّ (كالسكى) كتفيه دلالة على عدم المعرفة ، فاستطرد (فولف) فى ثقة :

ـ سيعلم جيّدًا أن بقاءه فى (وارسو) قد أصبح مستحيلًا ، ولذا فسيعمد هو ومساعده إلى الفرار خارج المدينة .. ولكن إلى أين ؟.. لو أنى مكانه لن أحاول الاتجاه إلى (ياوسوفك) فى الشرق مثلًا ، وإلّا كان على العبور إلى (الاتحاد السوفيتى) ، حيث سيعتقلونى حتمًا ، ولا إلى (كراكو) فى الجنوب بقرب (تشيكوسلوفاكيا) ، ولا (بوزنان) على حدود (ألمانيا الديمقراطية) ، فكل هذه البلاد على علاقة وثيقة (ببولندا) ، والأخيرة منها هى البلد التى هرب فيها بالفعل .

وابتسم فى مزيج من الثقة والغطرسة الألمانية ، وهو يردف :

ـ ليس أمامه إذن إلا (جدانسك) على البحر البلطى ، حيث يمكنه الفرار بعد سرقة زورق أو قارب بخارى ، وبمجرد عبوره المياه الإقليمية لن يمكننا إيقافه .

حرّك (كالسكى) رأسه قائلًا :

ـ يا إلهى !! هذا صحيح .. إن استنتاجك رائع يا هِرْ (فولف) .. وماذا علينا أن نفعل إذن ؟..

ابتسم (فولف) ، ووضع سبّابته على الخريطة قائلًا :

ـ نشدّد الحراسة على (جدانسك) يا هِرْ (كالسكى) .

* * *

تألقت عينا (فون هملن) ، وهو ينظر إلى (أدهم) قائلًا :

ـ لحظة رائعة أيها المصرى .. نعم .. إن (جدانسك) هى أفضل الأماكن .

قال (أدهم) فى هدوء :

ـ ليس (جدانسك) نفسها على وجه الدقة يا (هملن) ، ولكن على بعد ثلاثة كيلومترات إلى غربها .

Evaluation copy

زوى (هملن) ما بين حاجبيه ، وقال :

ـ ثلاثة كيلومترات إلى غربيها ؟!!!

اتسعت عيناه فجأة فى دهشته ، وهو يقول محدقًا فى وجه (أدهم) :

ـ يا للشيطان !! هل تقصد قاعدة حلف (وارسو) العسكرية ؟

ابتسم (أدهم) ، وهو يومئ برأسه قائلًا :

ـ بالضبط يا (هملن) .. إننا نحتاج إلى زورق قوى للهرب .. أليس كذلك ؟

قالت (منى) فى حدة :

ـ يمكننا أن نحصل عليه دون أن نضطر إلى مواجهة قاعدة عسكرية بأكملها يا سيادة العقيد .

ابتسم (أدهم) فى خبث ، وقال :

ـ ومن قال إننا سنواجه القاعدة ؟.. سيمنحوننا هم الزورق بأنفسهم .

سأله (هملن) فى دهشة :

ـ وكيف سنتوصل إلى هذا ؟

ضحك (أدهم) وقال :

ـ سأخبرك بذلك فى الطريق يا عزيزى (هملن) .. المهم الآن كيف نصل إلى (جدانسك) ؟

قال (هملن) فى حماس :

ـ يمكننى أن أوفر سيارة خاصة .

وقالت (منى) :

ـ أعتقد أنه من الأفضل أن نستقل حافلة عامة ، تلافيًا لإثارة الشكوك .

قال (أدهم) فى سخرية :

ـ أية شكوك يا عزيزتى ؟.. ألا تحملين حقيبة أدوات مكياجك ؟

قالت فى تساؤل :

ـ بلى . ولكن فيم تفيدنا ؟

www.liilas.com
Evaluation copy

ابتسم وهو يقول :

ـ سعيدنا فى أن نستقل سيارة خاصة ، ولنطلق إلى (جدانسك) يا عزيزتى .. وهناك يبدأ الجزء الصعب من الخطة .

* * *

٥ ـ الطريق إلى النيران ..

ضغط (أدهم صبرى) على دوّاسة الوقود فى السيارة الصغيرة ، دون أن يهتم بالنظر إلى عدّاد السرعة ، الذى أشار إلى تجاوزها المائة والعشرين كيلومترًا ، على حين اختلس (فون هملن) النظر إلى مرآة السيارة ، وهو يتحسّس القناع المطّاطىّ الرقيق للغاية ، الذى يغطى وجهه ، ثم غمغم فى صوت تخالطه الدهشة :

ـ عجبًا !! أكاد لا أعرف نفسى فى هذه الملامح .

ثم استدار يطالع إلى (أدهم) ، مستطردًا فى إعجاب :

ـ أنت عبقرى فى تبديل الملامح البشرية أيها المصرى .

ابتسمت (منى) التى تجلس على المقعد الخلفى ، وقالت فى هدوء :

ـ هذا جزء ضئيل من قدراته يا هرّ (هملن) .

Evaluation copy

ابتسم وهو يقول :

ـ سعيدنا فى أن نستقل سيارة خاصة ، ونطلق إلى (جدانسك) يا عزيزتى .. وهناك يبدأ الجزء الصعب من الخطة .

* * *

٥ ـ الطريق إلى النيران ..

ضغط (أدهم صبرى) على دوّاسة الوقود فى السيارة الصغيرة ، دون أن يهم بالنظر إلى عدّاد السرعة ، الذى أشار إلى تجاوزها المائة والعشرين كيلومترًا ، على حين اختلس (فون هملن) النظر إلى مرآة السيارة ، وهو يتحسّس القناع المطّاطىّ الرقيق للغاية ، الذى يغطّى وجهه ، ثم غمغم فى صوت تخالطه الدهشة :

ـ عجبًا !! أكاد لا أعرف نفسى فى هذه الملامح

ثم استدار يطّلع إلى (أدهم) ، مستطردًا فى إعجاب :

ـ أنت عبقرى فى تبديل الملامح البشرية أيها المصرى .

ابتسمت (منى) التى تجلس على المقعد الخلفى ، وقالت فى هدوء .

ـ هذا جزء ضئيل من قدراته يا هرّ (هملن) .

Evaluation copy

التفت (ڤون هملن) إلى (أدهم) ، وأخذ يطرّس ملامحه فى ضوء السيارة الخافت ، ولم يلبث أن قال :

ـــ عجبًا .. إن ملفات المخابرات الألمانية كانت تضم صورة ووصفًا لضابط مخابرات مصرى ، يملك هذه القدرات غير المألوفة ، ولكنه لقى حتفه ، ولولا ذلك لظننت ....

ابتسم (أدهم) ، وسأله متجاهلًا حديثه :

ـــ هل مسدسك محشوّ بالرّصاص يا (هملن) ؟

تحسّس (هملن) مسدسه المختفى تحت معطفه ، وقال :

ـــ نعم .. إنه مستعد للإطلاق فى أية لحظة .

غمغمت (منى) فى قلق :

ـــ آمل ألا تدفعنا الظروف إلى ذلك .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

ـــ إنه السلاح الوحيد الذى تملكه يا عزيزتى .

ضحك (ڤون هملن) ، وقال فى سخرية :

ـــ وهل ستحارب حلف (وارسو) بمسدس واحد ؟

ضحك (أدهم) دون أن يجيب ، ثم لجهّمت ملامحه

فجأة ، وهو يشير أمامه قائلًا :

ـــ هناك الكثير من الأضواء على بعد خمسة كيلومترات .. أعتقد أنها نقطة مراقبة .

حدّق (ڤون هملن) و (منى) فى الأضواء التى تقترب منها السيارة ، وقال (هملن) :

ـــ خفف من سرعتك أيها المصرى .. لعلها نوبة مراقبة الطريق .

رفع (أدهم) قدمه عن دوّاسة الوقود ، وضغط بها على الفرامل وهو يقول :

ـــ لست أدرى لمَ أشعر بالخطر .

وفجأة لاحت لهم الدورية .. كان هناك عدد كبير من رجال الشُّرطة العسكرية بمدافعهم الرشاشة ، وعدد من الضباط ، وهم يغلقون الطريق بحائل حديدى رفيع ، تتعلّق عليه الأضواء الملوّنة ، وزوى (أدهم) ما بين حاجبيه ، على حين غمغم (ڤون هملن) :

ـــ قف فى هدوء ، فقد فات أوان التراجع ، وليس من المفضّل أن نثير شكوكهم .

Evaluation copy

التفت (فون هملن) إلى (أدهم) ، وأخذ يطرّس ملامحه فى ضوء السيارة الخافت ، ولم يلبث أن قال :

ـــ عجبًا .. إن ملفات المخابرات الألمانية كانت تضم صورة ووصفًا لضابط مخابرات مصرى ، يحمل هذه القدرات غير المألوفة ، ولكنه لقى حتفه ، ولولا ذلك لظننت ....

ابتسم (أدهم) ، وسأله متجاهلًا حديثه :

ـــ هل مسدسك محشوّ بالرّصاص يا (هملن) ؟

تحسّس (هملن) مسدسه المختفى تحت معطفه ، وقال :

ـــ نعم .. إنه مستعد للإطلاق فى أية لحظة .

غمغمت (منى) فى قلق :

ـــ آمل ألا تدفعنا الظروف إلى ذلك .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

ـــ إنه السلاح الوحيد الذى تملكه يا عزيزتى .

ضحك (فون هملن) ، وقال فى سخرية :

ـــ وهل ستحارب حلف (وارسو) بمسدس واحد ؟

ضحك (أدهم) دون أن يجيب ، ثم لجمت ملامحه

فجأة ، وهو يشير أمامه قائلًا :

ـــ هناك الكثير من الأضواء على بعد خمسة كيلومترات .. أعتقد أنها نقطة مراقبة .

حدّق (فون هملن) و (منى) فى الأضواء التى تقترب منها السيارة ، وقال (هملن) :

ـــ خفف من سرعتك أيها المصرى .. لعلها نوبة مراقبة الطريق .

رفع (أدهم) قدمه عن دوّاسة الوقود ، وضغط بها على الفرامل وهو يقول :

ـــ لست أدرى لم أشعر بالخطر .

وفجأة لاحت لهم الدورية .. كان هناك عدد كبير من رجال الشُّرطة العسكرية بمدافعهم الرشاشة ، وعدد من الضباط ، وهم يغلقون الطريق بحائل حديدى رفيع ، تتعلّق عليه الأضواء الملوّنة ، وزوى (أدهم) ما بين حاجبيه ، على حين غمغم (فون هملن) :

ـــ قف فى هدوء ، فقد فات أوان التراجع ، وليس من المفضّل أن نثير شكوكهم .

Evaluation copy

أوقف (أدهم) السيارة بهدوء ، وهو يحاول تبيُّن ملامح رجال الدورية ، عبْرَ الضوء المبهر الذى يضيء نحوه دون فائدة ، ولكنه لمح أحدهم ينفصل عن البقية ، ويتبعه جنديان يحملان المدافع الرشاشة ، ثم رآه يقترب من السيارة ، وينحنى لينظر داخلها قائلًا :

ـــ أوراقك من فضلك .

كان (أدهم) قد استعد لمثل هذا الموقف ، واستخرج أوراقًا مزيفة ، ولكنه لمْ يقدمها إلى الرجل ، فلقد اتسعت عينا (فون هلن) دهشة ، على مسمع صوته ، وشهقت (منى) شهقة خافتة من المقعد الخلفى ، وابتسم (أدهم) فى سخرية ، فقد طالعه وجه الرجل الذى يشبه ملامح الفأر ، ولم يكن (أدهم) قد غيَّر ملامحه ، لذا فقد تراجع (فولف جانج) فى دهشة ، وصاح :

ـــ يا للشيطان !! أهم أنتم ؟

* * *

لو أن بطلًا من أبطال مسابقات السيارات ، شاهد

ما فعله (أدهم) فى هذه اللحظة ، لشهق إعجابًا ، وانهبت كفاه تصفيقًا ، ولوَدَّ من كل قلبه أن يعانق (أدهم) ، ويشد على يده مهنئًا ، إذ أنه قد تحرَّك فى سرعة البرق ، مُجبِرًا محرِّك السيارة على الإستجابة والطاعة ، حينما حوَّل عصا السرعة إلى الوضع الرابع ، ثم ضغطت قدماه على دوَّاستى الكبح والوقود ، ووضع قدمه اليسرى ، لتنطلق السيارة الصغيرة فى صرير مزعج ، وشكل مخيف ، أثار ذهول رجال الشُرطة ، حيث تراجع (فولف جانج) فى حذَرٍ ، وأطلق البعض قوَّهات مدافعهم الرشاشة ، ولكن سيارة (أدهم) اندفعت نحو الحائل الخشبىّ ، وصاح هو بزميلته ومرافقه :

ـــ اخفضا رأسيكما .

وفى جرأة مذهلة وهدوء حرافى ، ارتطم بالحائل محطِّمًا إيَّاه ، ومتجاوزًا له فى سرعة ومهارة ، فى الطريق الأسفلتى العريض ..

صرخ (فولف) فى غيظ :

Evaluation copy

أوقف (أدهم) السيارة بهدوء ، وهو يحاول تبيُّن ملامح رجال الدورية ، عبْرَ الضوء المبهر الذى يضىء نحوه دون فائدة ، ولكنه لمح أحدهم ينفصل عن التالين ، ويتبعه جنديان يحملان المدافع الرشاشة ، ثم رآه يقترب من السيارة ، وينحنى لينظر داخلها قائلًا :

ـــ أوراقك من فضلك .

كان (أدهم) قد استعد لمثل هذا الموقف ، واستخرج أوراقًا مزيفة ، ولكنه لمْ يقدمها إلى الرجل ، فلقد اتسعت عينا (فون شلتن) دهشة ، على مسمع صوته ، وشهقت (منى) شهقة خافتة من المقعد الخلفى ، وابتسم (أدهم) فى سخرية ، فقد طالعه وجه الرجل الذى يشبه ملامح الفأر ، ولم يكن (أدهم) قد غيَّر ملامحه ؛ لذا فقد تراجع (فولف جانج) فى دهشة ، وصاح :

ـــ يا للشيطان !! أهم أنتم ؟

* * *

لو أن بطلًا من أبطال مسابقات السيارات ، شاهد

ما فعله (أدهم) فى هذه اللحظة ، لشهق إعجابًا ، وانهمرت كفاه تصفيقًا ، ولوَدَّ من كل قلبه أن يعانق (أدهم) ، ويشدَّ على يده مهنئًا ، إذ أنه قد تحرَّك فى سرعة البرق ، مُجبرًا محرِّك السيارة على الإستجابة والطاعة ، حينما حرَّك عصا السرعة إلى الوضع الرابع ، ثم ضغطت قدماه على دوَّاستى الكبح والوقود ، ورفع قدمه اليسرى ، لتنطلق السيارة الصغيرة فى صرير مزعج ، وشكل مخيف ، أثار ذهول رجال الشُرطة ، حيث تراجع (فولف جانج) فى حذر ، ورفع المدفع الرشاش ، ولكن سيارة (أدهم) اندفعت نحو الحائل الخشبى ، وصاح هو بزميلته ومرافقه :

ـــ اخفضا رأسيكما ..

وفى جرأة مذهلة وهدوء حرافى ، ارتطم بالحائل محطِّمًا إيَّاه ، ومتجاوزًا له فى سرعة ومهارة ، فى الطريق الأسفلتى العريض ..

صرخ (فولف) فى غيظ :

Evaluation copy

ـــ أطلقوا النار .. اقتلوهم جميعًا .

وقبل أن يتم عبارته ، كانت المدافع الرشاشة تنطلق فى سيمفونية مرعبة مزعجة خلف السيارة الصغيرة ، التى تحطم زجاجها الخلفى ، وسرقت أكثر من رصاصة بجوار أذنى (أدهم) فى صفير مخيف .. ولكن (أدهم صبرى) صاحب الأعصاب الفولاذية لم يهتز له رمش ، واكتفى بابتسامة ساخرة ، وهو يطلق بالسيارة فى مهارة رائعة مخلفًا :

ـــ معذرة يا (وجه القمر) .. ليس لدى وقت لتوقف

وهمس (فون هملن) فى دهشة ، محدثًا (منى) :

ـــ أخبرينى أيتها المصرية .. أزميلك مجنون ، أم أنه خلق دون أعصاب على الإطلاق ؟

ابتسمت (منى) ، واختلست نظرة إعجاب إلى (أدهم) ، وهى تجيب :

ـــ لا هذا ولا ذاك يا جنرال (هملن) .. كل ما فى الأمر أنه ضابط مخابرات يحب وطنه مصر .

وفى تلك اللحظة صاح (فولف) فى رجاله :

ـــ أسرعوا خلفهم .. لا تسمحوا لهم بالإفلات .

وقفز داخل سيارة اندفعت به خلف سيارة (أدهم) ، وانطلقت خلفه مجموعة من الدراجات البخارية فى مطاردة مستميتة ...

ونهض (فون هملن) ، وقبض على مسدسه فى توتر وانفعال :

ـــ لقد انتهت لعبة الحرب .. ماذا سنفعل الآن ؟

ونظر (أدهم) إلى مرآة السيارة ، وشاهد الدراجات البخارية التى تطاردهم ، وسيارة (فولف حاج) ، ثم قال لـ (فون هملن) :

ـــ هل لديك خريطة لطرق (بولندا) ؟

مد (فون هملن) يده إلى جيب معطفه الداخلى ، وأخرج خريطة مطوية ، وهو يقول :

ـــ بالطبع .. إنها أحدث خريطة للبلاد .

Evaluation copy

ـــ أطلقوا النار .. اقتلوهم جميعًا .

وقبل أن يتم عبارته ، كانت المدافع الرشاشة تنطلق فى سيمفونية مرعبة مزعجة خلف السيارة الصغيرة ، التى تحطم زجاجها الخلفى ، وسرقت أكثر من رصاصة بجوار أذنى (أدهم) فى صفير مخيف .. ولكن (أدهم صبرى) صاحب الأعصاب الفولاذية لم يهتز له رمش ، واكتفى بابتسامة ساخرة ، وهو ينطلق بالسيارة فى مهارة رائعة مخاطبًا :

ـــ معذرة يا (وجه القمر) .. ليس لدى وقت لأودعك .

وهمس (فون هملن) فى دهشة ، محدثًا (منى) :

ـــ أخبرينى أيتها المصرية .. أزميلك مجنون ، أم أنه يطلق دون أعصاب على الإطلاق ؟

ابتسمت (منى) ، واختلست نظرة إعجاب إلى (أدهم) ، وهى تجيب :

ـــ لا هذا ولا ذاك يا جنرال (هملن) .. كل ما فى الأمر أنه ضابط مخابرات يحب وطنه مصر .

وفى تلك اللحظة صاح (فولف) فى رجاله :

ـــ أسرعوا خلفهم .. لا تسمحوا لهم بالإفلات .

وقفز داخل سيارة اندفعت به خلف سيارة (أدهم) ، وانطلقت خلفه مجموعة من الدراجات البخارية فى مطاردة مستميتة ...

ونهض (فون هملن) ، وقبض على مسدسه فى توتر وقال :

ـــ لقد انهارت خطة الهرب .. ماذا سنفعل الآن ؟

ونظر (أدهم) إلى مرآة السيارة ، وشاهد الدراجات البخارية التى تطاردهم ، وسيارة (فولف حاج) ، ثم قال لـ (فون هملن) :

ـــ هل لديك خريطة لطرق (بولندا) ؟

مد (فون هملن) يده إلى جيب معطفه الداخلى ، وأخرج خريطة مطوية ، وهو يقول :

ـــ بالطبع .. إنها أحدث خريطة للبلاد .

Evaluation copy

قال (أدهم) وهو يضغط دوّاسة الوقود ، مجبرًا السيارة الصغيرة على الإنطلاق بسرعة تتجاوز قدراتها :

— ألق نظرة سريعة وأخبرني .. هل هناك طرق فرعية إلى (جدانسك) ؟.

فرد (فون هملن) الخريطة ، وفحصها في لهفة وقلق ، ثم قال :

— هناك طريق واحد ، ولكنه مغلق بسبب انهيار الجسر الذي يتوسطه ..

تألقت عينا (أدهم) وهو يسأله :

— هل تعلم كم يبلغ طول هذا الجسر المنهار ؟

حك (فون هملن) أنفه في توتر ، وقال :

— حوالي خمسة أمتار .. إنه جسر قديم و ....

قاطعه (أدهم) في عجلة :

— كم يبعد عنا هذا الطريق ؟

قال (فون هملن) ، وهو يلقي نظرة على علامات الطريق :

— حوالي عشرة كيلومترات .

ابتسم (أدهم) ، وقال :

— حسنًا يا هرّ (هملن) .. أعتقد أننا سنجو .

سأله (هملن) في دهشة :

— كيف ؟.

ابتسمت (مي) في توتر ، وهي تجيب :

— ألم تفهم بعد يا هرّ (هملن) ؟.. إن سيادة العقيد ينوي اجتياز هذا الجسر المحطم ..

وفي تلك اللحظة ، كان (فولف جانج) يصرخ في قائد سيارته :

— أسرع أيها الرجل .. لا تدعهم يفلتون .

قال قائد السيارة في قلق :

— إنني أنطلق بالسرعة القصوى يا سيدي ، لو حاولت الإسراع ، فسيفقد التحرك من السيارة معترضًا .

عضّ (فولف) شفتيه غيظًا ، وقال في غضب :

— وهؤلاء الجنود الحمقى على الدراجات البخارية .. لم لا يطلقون النار ؟

www.kitab.com
Evaluation copy

قال (أدهم) وهو يضغط دوّاسة الوقود ، مجبرًا السيارة الصغيرة على الإنطلاق بسرعة تتجاوز قدراتها :

— ألق نظرة سريعة وأخبرني .. هل هناك طرق فرعية إلى (جدانسك) ؟.

فرد (فون هملن) الخريطة ، وفحصها في لهفة وقلق ، ثم قال :

— هناك طريق واحد ، ولكنه مغلق بسبب انهيار الجسر الذي يتوسطه ..

تألقت عينا (أدهم) وهو يسأله :

— هل تعلم كم يبلغ طول هذا الجسر المنهار ؟

حكّ (فون هملن) أنفه في توتّر ، وقال :

— حوالي خمسة أمتار .. إنه جسر قديم و ....

قاطعه (أدهم) في عجلة :

— كم يبعد عنا هذا الطريق ؟

قال (فون هملن) ، وهو يلقي نظرة على علامات الطريق :

— حوالي عشرة كيلومترات .

ابتسم (أدهم) ، وقال :

— حسنًا يا هرّ (هملن) .. أعتقد أننا سنجو .

سأله (هملن) في دهشة :

— كيف ؟.

ابتسمت (منى) في توتّر ، وهي تجيب :

— ألم تفهم بعد يا هرّ (هملن) ؟.. إن سيادة العقيد ينوي اجتياز هذا الجسر المحطّم ..

وفي تلك اللحظة ، كان (فولف جانج) يصرخ في قائد سيارته :

— أسرع أيها الرجل .. لا تدعهم يفلتون .

قال قائد السيارة في قلق :

— إنني أنطلق بالسرعة القصوى يا سيّدي ، لو حاولت الإسراع ، فسيقفز المحرّك من السيارة معترضًا .

عضّ (فولف) شفتيه غيظًا ، وقال في غضب :

— وهؤلاء الجنود الحمقى على الدرّاجات البخارية .. لِمَ لا يطلقون النار ؟

www.kitab.com
Evaluation copy

أجابه السائق فى تردّد :

ـــ لأننا نتطلق أمامهم يا سيّدى .

غمغم (فولف) فى حنق :

ـــ يا للّعنة !!

وفى تلك اللحظة ، انحرف (أدهم) بسيارته فى جدّة داخل الطريق الفرعىّ ، فصرخ (فولف) :

ـــ إنه يحاول الهرب .. أسرع خلفه أيها السائق .

أطاع السائق الأمر ، وهو يقول فى قلق :

ـــ ولكن هذا الطريق مغلق بسبب جسر منهار على بعد عشرة كيلومترات يا سيّدى .

دألقت عبارة (فولف) فى شراسة ، وهو يقول :

ـــ ماذا تقول ؟!.. هل تعنى أن سيارتهم تنطلق لحو هاوية وهم لا يدرون ؟

قال السائق وقد ازداد توتّره :

ـــ لابدّ من ذلك يا سيّدى ، فهم فى سرعة عظيمة ، ولن يمكنهم التوقّف ، والهاوية يبلغ عمقها كيلومترًا كاملًا .

قال (فولف) فى مكر :

ـــ حسنًا أيها السائق .. خفّف من سرعتك ، ولكن لا تدعهم يلحظون ذلك .

ثم قهقه ضاحكًا فى وحشية ، قبل أن يستطرد :

ـــ دعهم يندفعون نحو هاوية الموت .

* * *

زاد (أدهم) من سرعة السيارة ، حتى كاد المحرّك يحترق ، وصاح (فون هملن) :

ـــ لن يمكنك عبور الهاوية .. لن تحتمل السيارة .

قالت (منى) ، وقد بلغ توتّرها منتهاه :

ـــ لا تحاول يا هرّ (هملن) . إنه لن يتراجع .

لمح (فون هملن) بداية الجسر المحطّم على ضوء السيارة ، فصرخ وهو ينتشت بمقعده :

ـــ لا .. لا تقدم على هذه الحماقة أيها المصرى .. توقّف .

Evaluation copy

أجابه السائق فى تردّد :

ـــ لأننا نتطلق أمامهم يا سيّدى .

غمغم (فولف) فى حنق :

ـــ يا للّعنة !!

وفى تلك اللحظة ، انحرف (أدهم) بسيارته فى جدّة داخل الطريق الفرعىّ ، فصرخ (فولف) :

ـــ إنه يحاول الهرب .. أسرع خلفه أيها السائق .

أطاع السائق الأمر ، وهو يقول فى قلق :

ـــ ولكن هذا الطريق مغلق بسبب جسر منهار على بعد عشرة كيلومترات يا سيّدى .

دألقت عينا (فولف) فى شراسة ، وهو يقول :

ـــ ماذا تقول ؟!. هل تعنى أن سيارتهم تنطلق لحو هاوية وهم لا يدرون ؟

قال السائق وقد ازداد توتّره :

ـــ لابدّ من ذلك يا سيّدى ، فهم فى سرعة عظيمة ، ولن يمكنهم التوقّف ، والهاوية يبلغ عمقها كيلومترًا كاملًا .

قال (فولف) فى مكر :

ـــ حسنًا أيها السائق .. خفّف من سرعتك ، ولكن لا تدعهم يلحظون ذلك .

ثم قهقه ضاحكًا فى وحشية ، قبل أن يستطرد :

ـــ دعهم يندفعون نحو هاوية الموت .

* * *

زاد (أدهم) من سرعة السيارة ، حتى كاد المحرّك يحترق ، وصاح (فون هملن) :

ـــ لن يمكنك عبور الهاوية .. لن تحتمل السيارة .

قالت (منى) ، وقد بلغ توتّرها مداه :

ـــ لا تحاول يا هرّ (هملن) . إنه لن يتراجع .

لمح (فون هملن) بداية الجسر المحطّم على ضوء السيارة ، فصرخ وهو ينتشب بمقعده :

ـــ لا .. لا تقدم على هذه الحماقة أيها المصرى .. توقّف .

Evaluation copy

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وتعلقت عيناه بالجسر المحطم ، وهو يزيد من ضغطه على دوّاسة الوقود ، قائلاً فى هدوء مذهل :

ـ لقد سبق السيف العزل يا هزّ (هملن) .. احبس أنفاسك ، وتشبّث بمقعدك .

لم يكن (أدهم) فى حاجة إلى قول هذه النصيحة ، فقد تشبّث (فون هملن) ، وتشبثت (منى) بمقعديهما ، واحتبست أنفاسهما بالفعل ، عندما اندفعت السيارة الصغيرة مجتازة الطرف المحطّم ، سابحة فى الهواء فوق هوة يبلغ عمقها كيلومترًا كاملاً .

٦ ـ القفز فوق الخطر ..

أوقف سائق (فولف جانج) سيارته فى قوّة وحدّة ، وتدلّت فكّه السُفلى فى بلاهة ، واتسعت عيناه وعيا (فولف) ذهولاً ، حينما شقّت سيارة (أدهم) طريقها نحو الجانب الآخر من الهوّة السحيقة ، وتوقّفت الدرّاجات البخارية كلها ، وتعلّقت عيون قوّادها بالسيارة الصغيرة ، التى حطّمت الجانب الآخر ، وارتطمت به فى قوة حطّمت محورها ، وقسمتها نصفين ، زحفًا أرضًا مسافة تتعدّى الأمتار الخمسة قبل أن يتوقفا ، وحطّت (منى) وجهها بكفّيها ، وأجهشت بالبكاء ، على حين خرج (فون هملن) ، ووقف يتطلّع إلى السيارة فى ذهول ، وقفز (أدهم) فى رشاقة ، وعاون (منى) على الخروج قائلاً فى دُعابة :

ـ ها قد عبرنا الهوّة يا هزّ (هملن) .

Evaluation copy

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وتعلّقت عيناه بالجسر المحطّم ، وهو يزيد من ضغطه على دوّاسة الوقود ، قائلًا فى هدوء مذهل :

ـ لقد سبق السيف العزل يا هنز (هملن) .. احبس أنفاسك ، وتشبّث بمقعدك .

لم يكن (أدهم) فى حاجة إلى قول هذه النصيحة ، فقد تشبّث (فون هملن) ، وتشبّثت (منى) بمقعديهما ، واحتبست أنفاسهما بالفعل ، عندما اندفعت السيارة الصغيرة مجتازة الطرف المحطّم ، سابحة فى الهواء فوق هوّة يبلغ عمقها كيلومترًا كاملًا .

٦ ـ القفز فوق الخطر ..

أوقف سائق (فولف جانج) سيارته فى قوّة وحدّة ، وتدلّت فكّه السُفلى فى بلاهة ، واتسعت عيناه وعيا (فولف) ذهولًا ، حينما شقّت سيارة (أدهم) طريقها نحو الجانب الآخر من الهوّة السحيقة ، وتوقّفت الدرّاجات البخارية كلها ، وتعلّقت عيون قوّادها بالسيارة الصغيرة ، التى هبطت على الجانب الآخر ، وارتطمت به فى قوة حطّمت محورها ، وقسمتها نصفين ، زحفًا أرضًا مسافة تتعدّى الأمتار الخمسة قبل أن يتوقّفا ، وحطّت (منى) وجهها بكفّيها ، وأجهشت بالبكاء ، على حين خرج (فون هملن) ، ووقف يتطلّع إلى السيارة فى ذهول ، وقفز (أدهم) فى رشاقة ، وعاون (منى) على الخروج قائلًا فى دُعابة :

ـ ها قد عبرنا الهوّة يا هنز (هملن) .

Evaluation copy

— لن يفلتوا منّا .. لقد حاصرناهم تمامًا .

أدار رفيقه رأسه ، ليلقى نظرة على السيارات الخمس المليئة برجال الشُرطة المسلحين التى تتبعهم ، ثم قال فى ضيق :

— نعم يا هِرْ (فولف) .. ستتمكّن الشُرطة البولندية من إمساكهم .

نظر إليه (فولف) فى استعلاء ، وقال :

— نعم أيها الرفيق .. سيعاونوننى على الإمساك بهم

ثم صاح فجأة ، وهو يحدّق فى الطريق :

— يا إلهى !! انظر هناك .. هذه الفتاة .

ثم أوقف السيارة إلى جوار (منى) تمامًا ، وقفز وهو يخرج مسدسه ، ويقترب منها قليلًا فى قسوة متوارية :

— أى شيطان أتى بك إلى هذا الطريق المهجور يا جميلتى ؟

تظاهرت (منى) بارتياح ، وهى تسرع نحوه صائحة بالإنجليزية :

— حمدًا لله .. أنتم رجال شرطة .. أليس كذلك ؟.. لقد نجونى من هؤلاء الوحوش الثلاثة الذين يتبعوننى ..

ألقى حاجبا (فولف) فى مزيج من الشك والدهشة ، وهو يتساءل بالإنجليزية :

— أيّة وحوش ؟.. هل تمزحين يا فتاة ؟

لوّحت بكفّها فى رعب أجادت تمثيله ، وهى تصيح :

— مطلقًا يا سيّدى .. إنهم ثلاثة رجال ، استولوا على سيارتى ونقودى .. أريد أن أتقدّم بشكوى .

أمسك (فولف) معصمها فى قسوة آلمتها ، وهو يسألها فى حدّة :

— من أنت أوّلًا أيتها الإنجليزية ؟ وكيف وصلت إلى هذا الطريق شبه المهجور ؟

تأوّهت (منى) فى ألم ، وقالت :

— أنا (لندا آرثر) سائحة إنجليزية ، ولقد أعطبت الطريق ، ووجدت نفسى أمام ثلاثة رجال : أحدهم عجوز فى السبعين يبدو مخيفًا ، ولقد استولوا على سيارتى ونقودى و ....

www.liilas.com/vb3
Evaluation copy

برقت عينا (فولف) ، وهو يسألها :

ـــ أين تركتهم يا سيّدتى ؟

قالت (منى) :

ـــ لقد سمعتهم يقولون إنهم سيحاولون القفز عبر الهُوّة .. لابُدّ أنهم مجانين .

ترك (فولف) معصمها ، وأسرع نحو السيارة صائحًا :

ـــ فلنسرع إلى نهاية الطريق .. لابُدّ أن نلحق بهم

انطلقت سيارة (فولف) وسط السيارات المندفعة الأخرى فى سرعة ، حتى أنهم نسوا أن يحملوا معهم (منى) ، التى ابتسمت قائلة :

ـــ وداعًا يا هِرْ (فولف) .. وداعًا يا (وجه الفأر) .

* * *

انتهى (أدهم) من إيصال مصباحى السيارة المحطّمة ببطاريتها ، ثم لامس الأسلاك ، وابتسم حينما أضاء المصباحان ، وسمع صوت (ڤون هملن) يقول فى عجب :

ـــ ماذا تتوقّع أن يفعل هذان المصباحان ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء ، وهو يطفئ المصباحين :

ـــ سيشوّشا الرؤية أمام صديقنا (وجه الفأر) ، فلا يتبيّن الهُوّة التى تعترض طريقه .

هزّ (هملن) كتفيه ، وقال وهو يرفع مسدسه أمام وجهه :

ـــ إن (فولف جانج) لن تهزمه مصابيح سيارة ، مهما بلغت قوتها أيها المصرى .... الرصاص فقط هو الذى يحطّم أعصاب الصلب .

زوى (أدهم) ما بين حاجبيه ، وقال :

ـــ لم أكن أفضّل اللجوء إلى القتل يا هِرْ (هملن) ، ولكن للضرورة أحكام .

ابتسم (هملن) وهزّ كتفيه فى لامبالاة ، فى نفس اللحظة التى ارتفع فيها صوت السيارات التى تقترب ، فأشار (أدهم) إلى شجرة قريبة ، وقال :

ـــ لقد حانت المواجهة يا (هملن) .. أسرع بالاختباء .

Evaluation copy

ثم اختفى خلف إحدى الأشجار القريبة ، وأمسك بسلكى البطارية مترقبًا ، حتى لاحت له أضواء السيارات التى تقل (فولف) ورجال الشرطة ، فغمغم فى سخرية

ــ إنز .. أتهزمك المصابيح ، أم تحطمنا أنت يا (وجه الفأر) ؟

* * *

٧ ــ الحرب خدعة ..

قاد (فولف جانج) سيارته فى جذل ، نحو المنطقة التى حددتها (منى) ، وهو يقول لرجل الشُرطة البولندى الذى يجلس إلى جواره :

ــ هل تعلم لِمَ استولوا على سيارة السائحة الإنجليزية ؟.. لأن سيارتهم تحطمت تمامًا ، حينما هبطوا على هذا الجانب .. لقد رأيت هذا بعينى .. لقد أعطتوا حينما تركوا هذه السائحة على قيد الحياة .

غمغم رجل الشُرطة البولندى فى شك :

ــ ألا يثير هذا تعجُبك يا جِرْ (فولف) ؟

وقبل أن يفكّر (فولف) فى الأمر ، أضاء (أدهم) المصباحين ، اللذين أطلقا ضوءهما فى وجه (فولف) تمامًا ، فصرخ :

ــ ها هم أولاء .. إنهم يحاولون الهرب .

www.kitas.com/vb3
Evaluation copy

لم يكن الظلام يسمح له برؤية أكثر من مصباحى سيارة مضيئين ، ولكنه اتخذ موقفًا شجاعًا جريئًا ، فقد انحرف بالسيارة فى حدة ، وضغط (فرامليها) فى قوة ، بحيث توقفت وسط عاصفة من الغبار فى مواجهة المصباحين تمامًا ، وهو يظن أنه بذلك يقطع الطريق على السيارة الأخرى .. ولم تتوقف سيارات الشرطة الخمس الأخرى ، بل حاولت تطويق ما ظنته سيارة فى المواجهة ، فاندفعت أربع سيارات فى الاتجاهين المحيطين بالمصباحين ، وتنبه سائقوها بعد فوات الأوان ، أنه لا توجد أية سيارات ، بل مجرد مصباحين لدراجة بخارية سيارة ، ومثبتين على حافة الهُوَّة السحيقة تمامًا ..

وأمام عينى (فولف) الجاحظتين ، هوت السيارات الأربع فى الهُوَّة السحيقة ، وارتفع صراخ الحشد الذى يملؤها من رجال الشرطة ، وتوقفت السيارة الخامسة خلف سيارة (فولف) تمامًا ، وقفز منها سبعة من رجال الشرطة ، لقى منهم اثنان مصرعهما فى أول لحظة برصاصتين من مسدس (هملن) ، وقفز (فولف) من سيارته ، وكذلك

فعل رفيقه الشرطى البولندى ، وأخرج كل منهما مسدسه ، فى نفس اللحظة التى حطمت فيها رصاصات (هملن) مصابيح السيارتين ، وجذب (أدهم) الأسلاك ، فساد الظلام التام ..

همس (فولف) فى حنق وغيظ :

ـــ يا للعار !! لقد حطموا قوتنا فى الثوانى الأولى من المعركة .

أجابه الشرطى البولندى :

ـــ لقد خدعونا خدعة بارعة يا هِرْ (فولف) ، والآن ألقوا بنا فى مصيدة من الظلام الدامس .

تلفت (فولف) حوله ، محاولًا الرؤية من خلال الظلام ، ثم همس فى قلق :

ـــ هؤلاء الأوغاد يحاولون التستُّر بالظلام .. ولكنهم فى الواقع فى مصيدة مظلمة مثلنا تمامًا .

وفى نفس اللحظة ، كان أحد الجنود الخمسة الباقين يهمس فى أذن زميل له :

Evaluation copy

ـــ لقد دفعنا هذا الألمانى إلى الفخ ، وتسبَّب فى مصرع زملائنا .. لو أن الأمر بيدى لخنقته عقابًا له .

قال زميله وهو يحاول اختراق الظلام ببصره :

ـــ دَعْك من هذه الأفكار ، ولنؤجل ذلك إلى ما بعد قضائنا على هؤلاء الأعداء .

أجابه الجندى فى قلق :

ـــ أنت على حقّ يا ....

وبتر عبارته فجأة فى شهقة مكتومة ، التفت لها الجنود الأربعة الآخرون ، وخيّل إليهم أن [illegible] عليهم وسط الظلام ، فقد طارت مدافعهم الرشاشة الأربعة فجأة بضربات قوية ، وشعر أوّلهم بصاعقة حطّمت فكّه ، ومادت الأرض تحت قدمى الثانى ، إثر قبلة انفجرت فى أنفه ، وهَوَى الثالث مغشيًا عليه ، بعد أن تهشّمت أسنانه بفعل مطرقة فولاذية هبطت فوقها ، ولم يجد الرابع وقتًا لفهم ما حدث ، فقد سقطت لكمة ساحقة بين عينيه ، وأخرى خلف أذنه ..

وانتهى الرجال الخمسة دون ضجيج ، وابتسم (أدهم) فى سخرية وهو يزيحهم بعيدًا ، ثم زحف فى هدوء نحو سيارة (فولف) ، وأفرغ الهواء من عجلتيها اليمينيتين وهو يسمع صوت أنفاس (فولف) والشُّرطى البولندى من الجانب الأيسر ، وعاد يزحف عائدًا إلى السيارة ، وهو يقول لنفسه ساخرًا :

ـــ يا للعجب !! إن هذا يذكّرنى بأيام الصاعقة .

وفى هدوء استقر خلف عجلة قيادة السيارة الأخرى ، [illegible] عدّل السرعة إلى الوضع الأوّل ، ثم أدار المحرّك .. [illegible] يكد صوته يصل إلى أذنى (فولف) والبولندى ، حتى استدارا فى جزع ، وقد ظنّا أن رجالهما هم المتسبّبون فى ذلك .. وفى نفس اللحظة انطلقت رصاصات مسدس (هملن) ، فأسرع (فولف) والبولندى يستديران خلف سيارتهما ، وانطلقت ضحكة (أدهم) الساخرة تجلجل فى المكان ، عندما قفز (فون هملن) إلى السيارة ، وانطلق بها (أدهم) فى سرعة ومهارة ، وصرخ (فولف) فى غيظ وحنق :

Evaluation copy

— يا للشيطان !! لقد خدعونا مرة أخرى .. خدعونا كما لو كنا مبتدئين مذج ..

وأعقب قوله بأن قفز إلى السيارة الأخرى ، وأدار محركها ، ولحق به البولندى ، وحينما حاول الانطلاق بها فوجئ بما أصاب العجلتين إلى اليمين ، فصرخ فى غيظ ، ورفع سماعة جهاز الإرسال المثبت بالسيارة ، وصاح فى غضب :

— إلى القوات الرابضة فى (جدانسك) .. لقد أفلت من تطاردهم وهم فى طريقهم إليكم [illegible] على الطريق الفرعى .. أطلقوا النار فى الحال .. دون إنذار .

* * *

قال (ڤون هملن) فى غيظ ، وهو يقرّب وجهه من زجاج السيارة ، حتى يكاد يلتصق به :

— هل أنت مصرٌ على القيادة بهذا البطء ؟

ابتسم (أدهم) ، وقال :

— إننا نسير بسرعة ستين كيلومترًا فى الساعة ، ولا تنسَ أن مصابيح السيارة محطّمة بفعل رصاصاتك ، والظلام يكاد يكون شاملًا ، لولا قليل من ضوء القمر ..

غمغم (ڤون هملن) فى حنق :

— إننى فى الواقع أتساءل : كيف يمكنك القيادة فى هذا الظلام ؟ لقد ظننت أن عينىّ تخدعاننى .

ابتسم (أدهم) وقال :

— ها هى ذى زميلتنا (منى) ..

ابتسم (هملن) فى خبث ، وقال وهو يمسّ كتف (أدهم) بأصابعه :

— بالمناسبة أيها المصرىّ .. لقد سمعتها تناديك (أدهم) ، وملفكم كمصريين يحوى اسم رجل خارق يملك نفس قدراتك ، كما نظن أنه لقى حتفه .

أوقف (أدهم) السيارة ، والتفت إليه قائلًا فى برود :

— وبعد يا هِرْ (هملن) .

قفزت (منى) إلى السيارة فى تلك اللحظة ، وهى تقول :

www.liilas.com/vb3
Evaluation copy

ـ هذا لله على وصولكما سالمين .. لقد علمت بعض الوقت أن يزعموكما .

كان (هملن) هو الذى تحدث قائلًا :

ـ اطمئنى يا سيدتى .. إنهم يواجهون آخر رجل جستابو فى العالم ، والشيطان المصرى (أدهم صبرى) .

توقفت (منى) فجأة ، ونقلت بصرها بينهما ، ثم قالت فى بطء :

ـ كيف عرفت يا هز (هملن) ؟

ابتسم (أدهم) فى مرارة ، وقال وهو يشير إلى السيارة :

ـ لقد عرف بفضلك كالعادة يا عزيزتى .. بفضل ثرثرتك .

امتقع وجه (منى) ، على حين قال (هملن) فى هدوء :

ـ لا تخش شيئًا يا شيطان المخابرات المصرية .. لن يعلم سرك سواى .

وفجأة ، وبمجرد أن بدأت السيارة فى السير ، وقبل أن ينطق (أدهم) بكلمة واحدة تعقيبًا على قول (هملن) ، انطلقت أضواء قوية فى وجه السيارة ، وانهمر وابل من الرصاص حولها ، وصرخت (منى) :

ـ يا إلهى !! لقد اقتصونا .. لقد سقطنا فى أيديهم يا (أدهم) .

www.liilas.com|vb3

Evaluation copy

٨ ــ العبور الأخير ..

انتاب (منى) شعور عارم باليأس ، وذلّ الأجل ، وأسرع (هملن) يخرج مسدسه الضخم ، ويسحب إبرة الأمان به ، على حين فاجأهما (أدهم) ، عندما صاح فجأة بالألمانية ، مقلّدا صوت (فولف جانج) بشكل رائع ، أذهل (هملن) نفسه :

ــ توقفوا أيها الأوغاد .. ألم تروا ...

توقف انهمار الرصاصات فجأة ، وقد ظنّ رجال الشرطة أنهم أخطئوا بإطلاق النار على (فولف) نفسه .. ولَمْ يضيعْ (أدهم) لحظة واحدة ، ولا جزءًا من الثانية .. فبمجرّد توقف إطلاق النار ، انطلق هو بالسيارة وسط حشود الشرطة فى جرأة مذهلة مربكة ، ومرق بين سيارتين ، محطّمًا المصباح الأيسر لإحداهما ، وضغط دوّاسة الوقود بكل ما يملك من قوة ، فاندفعت السيارة بسرعة تفوق قدرة

محركها ، حتى وهى جديدة ، ومن خلفه انطلقت رصاصات رجال الشرطة محمّلة بالغضب والحنق والكراهية ، ولكنها ارتطمت بمهارة (أدهم) ، وضحكته الساخرة ، وهو يقول فى سخرية مريرة :

ــ عجبًا .. يخيّل لى أننى قد شاهدت هذا الموقف من قبل .

أجابته (منى) فى صوت مفعم بالقلق :

ــ ولكنه لم يكن بهذه الوعورة .

[illegible] على حق ، إذ انطلقت خلفهم تسع سيارات تابعة للشرطة الهولندية ، وطريقهم واحد يتجه إلى (جدانسك) ، حيث ينتظرهم رجال الأمن ... وساد الصمت فى السيارة .. لم يعد هناك سوى صوت المحرّك ، وصفّارات سيارات الشرطة المطاردة ، إلى أن قال (أدهم) :

ــ إن قاعدة حلف (وارسو) تقع على بعد ثلاثة كيلومترات غرب (جدانسك) ، ولها طريق منفصل ، محاط بالأشجار .. أليس كذلك ؟.

Evaluation copy

أجابه (هملن) :

ـــ بلى .. ما الذى يهدف إليه ؟

تجاهل (أدهم) السؤال ، وعاد يسأل :

ـــ هل يمكنكما القفز من السيارة ؟

أجابت (منى) :

ـــ يمكننى ذلك بالطبع .

أما (هملن) فقد تردد لحظة ، ثم قال :

ـــ إن ساق مصابة ، ومنى قد تخطت هذه الأعمال العنيفة ، ولكن .. أعتقد أننى أستطيع ذلك .

قال (أدهم) وهو ينطلق بالسيارة ، ويختلس النظر ما بين لحظة وأخرى ، إلى السيارات المطاردة من خلال مرآة السيارة :

ـــ حسنًا .. سأسقطكما على بعد كيلومتر من القاعدة ، وعليكما أن تلتقى هناك ، بجوار السور الشرق ، فى العاشرة والنصف تمامًا .

سأله (منى) فى قلق :

ـــ ألن تقفز معنا ؟

ابتسم ابتسامة ساخرة ، وقال :

ـــ إنهم ليسوا بمثل هذا الغباء يا عزيزتى .

ثم قال فى حزم وجدية :

ـــ هيَّا .. استعدا للقفز .

والتحرف فجأة نحو أكمة من الأشجار المتشابكة ، وصاح :

ـــ اقفزا .

قفزت (منى) فى شجاعة وسط الأشجار المتشابكة ، وشعرت بالأغصان تمزق معطفها فى صوت مزعج ، وأصابتها بعض الجروح والخدوش ، وتدحرجت طويلًا على الأرض قبل أن تستقر ، وتنظر فى دهشة إلى سيارة (أدهم) ، التى عادت إلى الطريق ، وواصلت اندفاعها .. وما هى إلا ثوانٍ ، حتى مرقت أمامها سيارات الشرطة المطاردة فى صوت مزعج .. وكان من الواضح أنها لم تلتفت أو تنتبه للقفز (منى) و (هملن) ، بدليل أن إحداها لم تتوقف ..

www.kitab.com.sa
Evaluation copy

وشعرت (منى) بمدى ذكاء (أدهم) ، حينما انحرف داخل الأكمة المتشابكة لحظة القفز .. وبينما هى فى أفكارها شعرت بكفٍّ خشنة تمسّ يدها ، فانقبضت فى ذعر ، ولكنها تنهّدت حينما سمعت صوت (هملن) الأجش يقول :

ــ هل أنت بخير يا سيّدتى ؟.. ذعينا نسرع إذن إلى مكان اللّقاء .

نفضت (منى) الغبار عن معطفها ، وقالت وهى تنهض :

ــ هيّا يا هِرْ (هملن) .. ولندعُ الله أن ينجح (أدهم) فى اللّحاق بنا .

ابتسم (هملن) ، وهو يقول :

ــ لا تقلقى على هذا الرجل يا سيّدتى .. صدّقينى .. لو كان لدينا رجل مثله ، لما خسرت (ألمانيا) الحرب العالمية الثانية .

* * *

لم يكد (أدهم) يطمئن أن أحدًا لم يلمح (منى) و (هملن) ، وهما يقفزان خارج السيارة ، حتى أطلق لها العنان ، وهو يقول لنفسه فى سخرية :

ــ ويل لك يا (أدهم) ، لو أن هؤلاء المتوحّشين لحقوا بك !!

ثم رفع قدمه متعمّدًا عن دوّاسة الوقود ، وضغط فى هدوء على (فرامل) السيارة ، بحيث انخفضت سرعتها فجأة ، ومال بها جانبًا ، قاطعًا الطريق على السيارات المطاردة التى أصابها الارتباك ، فانحرفت كل منها فى اتجاه [illegible] إلى ارتطام ثلاث منها بعضها ببعض ، على حين نجحت الست الأخرى فى تفادى الارتطام ، وأصابتها الدهشة حينما اندفعت سيارة (أدهم) ، وكأنه فقد سيطرته عليها ، وسط تخيلة متشابكة الأغصان على جانب الطريق ، وارتطمت السيارة بجذع ضخم ، فانقلبت وتهشّمت مقدمتها ، ولم تلبث أن اندلعت منها النيران ...

قفز رجال الشرطة من سياراتهم ، وهم يحملون أجهزة إطفاء النيران ، والتفوا حول السيارة المشتعلة يهدفون

www.liilas.com/vb3

Evaluation copy

إلى إخماد نيرانها ، ووقف قائدهم يراقبهم عن بعد ، وقد انتفخت أوداجه فى فخر ، وهو يقول :

ـ ها قد قضينا على الجواسيس دون معاونتك يا هز (فولف) .

* * *

جالت (منى) ببصرها فى قلق ، حول السُّور الضخم المدعَّم بالاستحكامات والتحصينات القوية ، والمحيط بقاعدة حلف (وارسو) العسكرية ، وازدردت لعابها فى صعوبة ، وهى تتأمل الحرّاس الأقوياء ، الذين يسيرون فى حركة مستمرة دائبة ، لحماية مدخل القاعدة وخارجها ، ثم نظرت فى ساعتها ، والتفتت إلى (ڤون هملن) تسأله :

ـ هل لديك أيّة فكرة عن الوسيلة التى ينوى (أدهم) اتباعها ، لدخول هذه القاعدة العسكرية ؟ .. إنها أشبه بالحصن .

هزّ (هملن) رأسه فى قلق ، وقال :

ـ كان من المفروض أن أسألك أنا هذا السؤال يا سيّدتى ، فأنت زميلته .

تنهّدت فى ضيق ، وقالت :

ـ ليته يعاملنى بهذا الاعتبار يا هِرْ (هملن) .

وفى تلك اللحظة ، سمع كلاهما صوتًا ساخرًا خافتًا يقول :

ـ لا داعى للتبرُّم أيتها النقيب .

التفتت (منى) فى سعادة ، وهتفت فى صوت حائف :

ـ (أدهم) .. حمدًا لله على نجاتك .

اقترب (أدهم) فى هدوء ، وقال وهو ينزع معطفه الممزّق :

ـ شكرًا يا عزيزتى .. ولكنى أعتقد أن زملاءنا فى المخابرات ، سيفضلون هتر ساق ، التى تتحمّل الكثير وهى مصابة .

ابتسم (هملن) ابتسامة شاحبة ، وقال :

ـ إن حالها أفضل من ساق بالتأكيد .

أسرعت (منى) تسأل :

www.liilas.com/vb3
Evaluation copy

ـ ألمْ يتبعك أحدهم يا سيادة العقيد ؟

هزّ (أدهم) رأسه نفيًا ، والتفت إلى (هملن) ، ومدّ يده إليه قائلًا :

ـ هل تسمح بتسليمى مسدسك يا هِرْ (هملن) ؟

ناوله (هملن) المسدس فى ثقة ، فدسّه (أدهم) فى جيب سترته ، وقال :

ـ شكرًا يا هِرْ (هملن) .. سأردّه لك فى (السويد) .

سأله (منى) فى فضول يمزج بالقلق

ـ هل لديك خطّة معينة ، لكيفية دخولنا القاعدة يا سيادة العقيد ؟

ابتسم (أدهم) ابتسامة غامضة ، وهو يقول :

ـ بالطبع يا عزيزتى .. سندخل من الباب الرئيسى

نظرت إليه فى دهشة ، ولكنه رفع مسدسه نحوها وهو (هملن) ، مستطردًا فى هدوء :

ـ معذرة .. فأنتما أسيراى .

* * *

٩ ـ الجنرال (روزسكى) ..

تحرّك حارسا الباب الرئيسى لقاعدة حلف (وارسو) العسكرية ، حركتهما الروتينية المعتادة ، وقد أصابهما الملل الشديد ، وفجأة خالف أحدهما سيره ، ورفع مدفعه الرشاش يصوّبه إلى ثلاثة أشخاص يتقدّمون ، وأسرع زميله يحذو حذوه ، حينما اقترب الثلاثة من الضوء ، وتبيّن أنهم رجلان وامرأة ..

كان أحد الرجلين وهو الأكبر سنًا يسير إلى جوار المرأة فى الأمام ، وقد ارتفعت أذرعتهم فوق رأسيهما ، على حين سار الرجل الأصغر سنًا خلفهما ، وفى قبضته مسدس ضخم يصوّبه إليهما ..

صاح أحد الحارسين فى صرامة :

ـ قِفوا .. أسرعوا بإخبارنا عن معنى ذلك وإلا أطلقت النار .

www.kitab.com.sa
Evaluation copy

قال (أدهم) بلغة المانية ، وهو يخفض مسدسه :

ـــ لا تبعد فوّهة مدفعك الرشاش عنهما يا صديقى ، فهما أسيراى .

ثم تقدّم من الحارس الثانى ، الذى صوّب مدفعه نحوه فى شك وحذر ، وقذف (أدهم) مسدسه بين قدمى الحارس ، وقال وهو يخرج من جيب سترته بطاقة بلاستيكية يقدّمها له :

ـــ اطمئن يا صديقى .. إننى أوسكم مقابلة قائد

القاعدة .. سلّمه بطاقتى هذه .

تناول الحارس البطاقة فى حذر ، ولم يكد ينظر إليها حتى اعتدل فى احترام ، وقال فى لهجة عسكرية ، وهو يرفع يده بالتحية :

ـــ معذرة يا هِرْ (شميت) .. سأقدّم بطاقتك إلى القائد فوْرًا .

ابتسم (أدهم) ، وقال وهو يشير إلى (منى) و (هملن) :

ـــ نعم يا صديقى .. أسرع .. وأحذره أن معى أسيرين .

* * *

عقد (أدهم) كفّيه خلف ظهره ، ووقف فى هدوء ينتظر أوبة الحارس ، الذى هُرع لإخبار قائده ، وابتسم ابتسامة شاردة وهو ينظر إلى الحارس الآخر ، الذى شعر بأهمية (أدهم) ، من الحوار الذى دار بينه وبين زميله ، فأبعد عنه فوّهة مدفعه الرشاش ، وصوّبها إلى (منى) و (هملن) ، اللذين تظاهرا بالاستسلام والخضوع ..

وسرح (أدهم) بأفكاره ، فيما حدث منذ إسناد هذه المهمة المعقّدة إليه .. كان يشعر بتعب من جرّاء حركته المتواصلة ، وبألم شديد فى ساقه المصابة ، أخذ يتضاعف منذ قفز من سيارة الشرطة عند الحميلة المتشابكة .. واتسعت ابتسامته وهو يتصوّر ما سيفعله قائد قاعدة حلف (وارسو) العسكرية ، حينما يطّلع على بطاقته المزيّفة ...

www.kitab.com.eg
Evaluation copy

لم يكن اختيار قاعدة حلف (وارسو) نقطة للهروب أمرًا جزافيًا ، أو لحظة وليدة الساعة ، وإنما كان تقديرًا عكف خبراء المخابرات المصرية على دراسته ، وتفنيده بكل دقة ممكنة ، منذ إقرار القيام بالعملية .. لقد تمت دراسة شخصية قائد القاعدة الجنرال (ليخ روزسكى) .. علاقاته .. اهتماماته .. صلاته الشخصية والعملية .. إمكانية الفرار .. الخطوات المحتملة .. وفى النهاية تحركت أصابع (فدرى) الماهرة الفنية ، لتزوّر بطاقة من بطاقات المخابرات الألمانية الشرقية ، تحمل صورة (أدهم) ، واسم (هاندل شميث) ، وصفته مدير مكتب العلاقات الخارجية بالمخابرات الألمانية الشرقية .. منصب مخيف تهتز له النجوم التى تزين كتفى الجنرال (روزسكى) ...

وأفاق (أدهم) من أفكاره ، حينما سمع صوت الحارس ، الذى عاد لاهثًا وهو يفتح بوابة القاعدة ، قائلًا فى احترام :

ـ الجنرال (روزسكى) ينتظرك بمكتبه يا هرْ (شميت) .

ابتسم (أدهم) ، وقال وهو يشير إلى (منى) و (هملن) :

ـ اصحبهما معى إلى هناك .. وثق أن رئيسك سيُسرُّ بذلك .

* * *

نهض الجنرال (روزسكى) ، أو بمعنى أدق .. قفز من خلف مكتبه ، ومدّ يده فى ترحاب مبالغ فيه إلى (أدهم) ، الذى صافحه فى هدوء ، وقال بغطرسة متعمدة :

ـ كيف حالك يا جنرال (روزسكى) .. أما زلت تهوى جمع علب الثقاب ؟

ابتسم الجنرال (روزسكى) ، وقال فى خبث :

ـ بلى يا هرْ (شميت) .. إنك تقول ذلك لتمحو من ذهنى أية بادرة شك بالنسبة لشخصيتك .. أليس كذلك ؟.

هزّ (أدهم) كتفيه ، وقال :

www.kitab.com.vn
Evaluation copy

— إننا لَمْ نتقابل من قبل ، ولكن بطاقتى تكفى لإثبات شخصيتى يا جنرال .

ضحك الجنرال ، وهو يشير بيده قائلًا :

— بلا شك يا هِرْ (شميت) .. فلاثل إلى حد الندرة ، هؤلاء الذين يعلمون بشكل بطاقات المخابرات الشرقية .. حتى المخابرات الأخرى تجهل ذلك .

ابتسم (أدهم) ابتسامة عريضة ، أخفى بها ضحكة ساخرة ، حاولت الإفلات من بين شفتيه ، وقال :

— أنت محق يا جنرال .. وفى الواقع لقد أتيت إلى هنا لأمر غاية فى الخطورة ، ويحتاج إلى سريّة مطلقة .

ابتسم (الجنرال (روزسكى) ، وقال فى مكر :

— يقولون إنك تقود أسيرين يا هِرْ (شميت) .

مال (أدهم) نحوه ، وقال فى لهجة خافتة ، توحى بأهمية الأمر البالغة :

— ليسا أسيرين عاديين يا جنرال .. إنه آخر رجال الجستابو ورفيقته .

اتسعت عينا الجنرال ، وهو يغمغم فى ذهول :

— يا إلهى !! آخر الجبابرة .. لعلك تقصد (ثون هملن) ، الذى فرّ منكم منذ أيام .

أومأ (أدهم) برأسه إيجابًا ، وقال بنفس اللهجة ذات الأهمية :

— نعم يا جنرال .. لقد أمسكت به بعد لأى ، ولكننى مطارد .

سأله الجنرال فى حماس :

— تعنى يا هِرْ (شميت) ؟

أجاب (أدهم) ، وهو يلوّح بكفّه فى حركة لا تعنى شيئًا :

— أنت تعلم أن (الموساد) يسعى دائمًا خلف النازيين القدامى ، فى محاولة للنيل منهم ، انتقامًا لما فعله (هتلر) فى الحرب الأخيرة .

قال الجنرال ، وقد اكتست ملامحه وصوته بالاهتمام والجدّية :

www.kitab.com
Evaluation copy

ـــ تقصد أن رجال (الموساد) يطاردونك ؟

قال (أدهم) وهو يمطّ شفتيه فى حركة مفتعلة :

ـــ بالضبط يا جنرال ، لذا تجدنى غير قادر على اتباع الوسائل المألوفة فى التنقّل . ولقد فكّرت فى فكرة مجنونة .

ثم رمق الجنرال بنظرة عجيبة ، وهو يستطرد :

ـــ تحتاج إلى رجل شجاع قوىّ لمعاونتى على تنفيذها .

قال الجنرال فى حماس ، وهو يخبط بقبضته على زجاج مكتبه :

ـــ مُرْ بما تريد يا هرْ (شميت) .

مال (أدهم) نحوه ، وضاقت عيناه وهو يقول فى صوت هامس :

ـــ أحتاج إلى استعارة أحد زوارقك البخاريّة القويّة يا جنرال .

اتسعت عينا (روزسكى) دهشة ، وعاد إلى مقعده ، وزوى ما بين عينيه ، وأخذ يحكّ ذقنه فى تردّد وحَيْرة ، وهو يقول :

ـــ ولكن هذا إجراء خطير يا هرْ (شميث) .. إجراء خطير للغاية .

قال (أدهم) فى لهجة حماسية :

ـــ لذا فهو يحتاج إلى رجل غير عادىّ يا جنرال .

تردّد الجنرال (روزسكى) لحظة ، ثم قال وهو يقلّب كفّه :

ـــ من الصعب تحمل مسئولية ذلك يا هرْ (شميث) .

قلّب (أدهم) شفتيه ، وكأنه شعر بالازدراء ، وقال :

ـــ سأمنحك بطاقة هويتى يا جنرال ، وسأوقّع لك إقرارًا على مسئوليتى بذلك ، وسأتحمّل كل ما يترتب على الأمر .. فلقد وجدت أن وصولنا إلى (ألمانيا الشرقية) عن طريق البحر ، أمر لن يتوقّعه خصومنا من رجال (الموساد) ، فهم يتوقّعون منّا عبور الحدود .

ثم أشاح بوجهه ، وهو يستطرد فى لهجة إغرائية :

ـــ يا للأسف !! كنت قد سمعت أنهم يدرّبون إنشاء جهاز خاص للمخابرات يتبع الحلف ، وأنهم يبحثون عن رئيس له يتميّز بالشجاعة والجرأة و ....

www.kitab.com/vb3
Evaluation copy

برقت عينا الجنرال طمعًا ، وهبّ واقفًا وهو يضرب قبضته على سطح مكتبه ، قائلًا فى حماس ملتهل :

ــ أنت محق يا هنرّ (شميث) .. لابدّ من خطوة جريئة . سأسلّمك الزورق .

ثم رفع سماعة الهاتف الداخلى ، وألقى بأوامره إلى رجاله ، وهو يحلم بتقلّده منصب مدير مخابرات حلف (وارسو) .

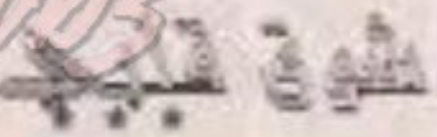

www.liilas.com|vb3

١٠ ــ الصاروخ القاتل ..

قذف (فولف جانج) سماعة جهاز اللاسلكى الصغير فى غضب ، والتفت إلى قائد رجال الشرطة صائحًا :

ــ لقد كانت السيارة المحترقة خالية .. لقد خدعوا رجالك للمرة الثالثة يا (كالسكى) .

زمجر (كالسكى) بغمغمة غاضبة دون أن يتكلم ، بينما (فولف) يقول :

ــ ولكن لماذا ؟.. لماذا فعلوا ذلك ؟ وأين اختفوا فى الطريق إلى (جدانسك) ؟.

وأشعل سيجارة رفيعة ذات رائحة قوية ، ونفث دخانها وهو يتطلّع فى حيرة إلى الخريطة الضخمة المفرودة أمامه ، وأخذ يدعك صدغه فى قوة ، وقد انثنى حاجباه فى شكل ينمّ عن التفكير العميق .. واقترب منه (كالسكى) ، وتظاهر بمراقبة الخريطة بدوره ، وإن كان فى أعماقه يشعر

Evaluation copy

بحنق بالغ ، من تدخل هذا (الألمانى الشرق) فى شئون (بولندا) ، ولكنه تذكّر أن الأمر يتعلّق بألمانى آخر ، فهزّ كتفيه وأبعد رأسه فى اشمئزاز عن الدّخان الكريه الذى ينفثه (فولف) من فمه .

وفجأة برقت عينا (فولف) ، وأشار إلى نقطة ما على الخريطة قائلًا :

ــ هذه هى قاعدة الحلف العسكرية .. يا للشيطان !! هذه هى وجهتهم .

قطّب (كالسكى) حاجبيه ، وقال :

ــ هذا مستحيل يا هِرْ (فولف) .. لن يمكنهم اقتحام قاعدة عسكرية .

صاح (فولف) فى حماس :

ــ هذا هو الفرق بيننا كرجال مخابرات ، وبينكم كرجال شرطة يا (كالسكى) .. أنتم ترون الكثير من المستحيلات ، ونحن لا نراها كذلك .. إن رجل المخابرات الأمريكى هذا شيطان و ....

قاطعه (كالسكى) ، قائلًا فى دهشة :

ــ أمريكى ؟!.. ألَمْ تقل من قبل إنه ألمانى غربى ؟

هزّ رأسه فى قوة ، قائلًا :

ــ بل أمريكى يا (كالسكى) .. لو أنك رأيت كيف قفز بالسيارة عبْرَ الهُوّة ، لجزمت أنه كذلك .

ثم عاد إلى الخريطة ، وقال وهو يرتدى معطفه على عجل :

ــ المهم أن نلحق بهم ، قبل أن يحصلوا على أحد زوارق قاعدة حلف (وارسو) .. فلو أنهم تخطّوا حدود المياه الإقليمية ، فسنفقد رجل الجستابو الأخير هذا إلى الأبد .

* * *

نقل الجنرال (روزسكى) عينيه بين (أدهم) و (منى) و (هملن) ، ثم عاد ينظر إلى محركات الزورق البخارى الحربى ، ورفع رأسه فى حَيْرة إلى (أدهم) ، وقال :

ــ أواثق أنت من قدرتك على قيادة هذا الزورق وحدك إلى دولتك يا هِرْ (شميت) ؟

www.liilas.com/vb
Evaluation copy

ابتسم (أدهم) قائلًا :

ـــ بلا شك يا جنرال .. إننى أقود هذه الزوارق الحربية ، بنفس البساطة التى يقود بها صبىّ صغير دراجة عادية .

هزّ (روزسكى) كتفيه ، وقال :

ـــ وهل سيمكنك السيطرة على أسيرك ، وأنت هكذا وحدك ؟

أشار (أدهم) إلى (منى) و (هلسر) ، ولوّح بالمسدس الضخم الذى استعاره من (فوك هلس) ، وقال :

ـــ إنهما مقيّدان كما ترى يا جنرال ، كما سيخضعهما مسدسى هذا .

ابتسم الجنرال ، وقال وهو يصافح (أدهم) فى أمل وحرارة :

ـــ رحلة موفّقة يا هِرْ (شميت) .. لا تنسَ أن تذكّرنى عند رؤسائك .

أومأ (أدهم) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـــ لن تندم على مبادرتك الجريئة هذه يا جنرال .. أؤكد لك .

هبط الجنرال إلى الميناء ، وأشار إلى رجاله بحل مرساة الزورق الحربى ، ثم رفع يده بالتحية العسكرية مكرّرًا .

ـــ رحلة موفّقة يا هِرْ (شميت) .

وفى نفس اللحظة التى ارتفع فيها صوت محركات الزورق الحربى ، هرع أحد الجنود إلى الجنرال ، وناوله برقية عاجلة ، وهو يلهث قائلًا :

ـــ سيّدى الجنرال .. إنها برقية عاجلة للغاية ، استقبلها الجهاز السرّىّ الخاص ، على الموجة الطويلة المحكمة .

تناول الجنرال البرقية فى اهتمام ، وارتجف قلبه المريض ، وجحظت عيناه ، وتفصّد جسمه عرقًا ، حينما قرأ محتوياتها التى تقول :

« احذر الخداع .. ثلاثة من الجواسيس سيحاولون

www.kitab.com.sy
Evaluation copy

الوصول إلى القاعدة ، والاستيلاء على أحد الزوارق الحربية .. لا تسمحوا بذلك .. نكرّر .. احذر الخداع » .

شحب وجه الجنرال ، ورفع رأسه نحو الزورق الذى بدأ يتحرّك فى بطء ، واحتبست الكلمات فى حلقه وهو يرتجف غضبًا ، ثم صاح أخيرًا فى غضب عارم :

ــ أوقفوا هذا الزورق .. أوقفوا هؤلاء الجواسيس الخادعين .. أطلقوا النار .. اقتلوهم .. اقتلوهم .

* * *

كان هذ الأمر بمثابة مفاجأة مذهلة ، بالنسبة لجنود القاعدة ، الذين شاهدوا قائدهم (روزسكى) ، يهبط من الزورق البخارى هاشًا باشًا ، قبل إصداره هذا الأمر بثوان معدودة ، لذا فقد تردّدوا لحظة قبل إطلاق النار ..

أما (أدهم صبرى) ، فهو ضابط مخابرات ناجح ، ويرجع سرّ نجاحه إلى أنه يتوقّع المفاجآت والخطر فى كل لحظة ، مادام يعمل على الرغم من المحيطين به ، ولهذا السبب وحده استفاد (أدهم) من تلك اللحظات التى

تردّد فيها الرجال ، فانطلق بالزورق الحربى ، مخالفًا كل القواعد البحرية المعروفة ، من حيث سرعة البدء ، وقواعد الإبحار ، واندفع يشق مياه البحر البلطى ، كسهم من الرصاص ، حتى أن (منى) و (هملن) سقطا أرضًا ، وتخلص هذا الأخير من قيوده التى تعمّد (أدهم) عدم إحكامها ، وقفز قائلًا فى حنق :

ــ هل تنوى إنقاذى أو قتلى يا هرّ (أدهم) ؟

قالت (منى) وهى تنهض ، بعد أن تخلّصت من قيودها :

ــ اصمت يا هرّ (هملن) .. إننا نتحمل كل هذا من أجلك .

ولكن (هملن) لم يسمع عبارتها تقريبًا ، فقد التصق بصره بميناء القاعدة العسكرية الذى يبتعد بسرعة ، ثم صرخ فى فرح عجيب :

ــ ربّاه !! لقد هربنا .. لقد غادرنا القاعدة .

صاح (أدهم) ، وهو يواصل الانطلاق بالزورق :

Evaluation copy

ـ لا تعجّل يا (هملن) .. مازلنا داخل مياههم الإقليمية .

صاح (هملن) فى سعادة من لا يصدّق نفسه :

ـ إننى مطمئن ، مادمت أنت تقود الزورق يا هِرْ (أدهم) .. لقد نجونا ..

ثم أسرع ينتزع زرًا ضخمًا من أزرار معطفه ، ناوله إلى (منى) صائحًا :

ـ لخذى يا عزيزتى .. داخل هذا الزر يوجد ميكروفيلم ، يضم صور الملف الخاص بمصر فى المخابرات الشرقية .

تألقت عينا (منى) ، وهى تضم قبضتها على الزر فى عناية ، وابتسم (أدهم) فى ظفر ، على حين استطرد (هملن) :

ـ لقد أحرقت الملف الأصل بالطبع ، فحمل فيلم صغير أسهل بكثير من حمل ملف ضخم .

وفى تلك اللحظة ارتفع أزيز محرك ضخم ، ورفع الجميع رءوسهم يحاولون اختراق الظلمات ، على حين غمغم (أدهم) فى توتر :

ـ لقد أطلقوا إحدى طائرات الهليوكوبتر الحربية خلفنا .. لقد وصل الخطر إلى الذروة يا رفاق .

* * *

لقد استغرق إعداد الزورق البخارى الحربى ، الذى انطلق به (أدهم) وقتًا طويلًا ، حتى أن (فولف جانج) وصل إلى القاعدة العسكرية ، فى نفس اللحظة التى انطلق فيها الزورق مبتعدًا ، تطارده رصاصات الجنود ، فقفز من سيارته إلى جوار الجنرال (روزسكى) صارخًا فى غضب :

ـ هل سمحت لهم بخداعك أيها الجنرال البائس ؟.. هل أفلتوا ؟.. هل ساعدت آخر الجبابرة على الإفلات ؟

ارتجف الجنرال (روزسكى) ، حينما وقع بصره على (فولف) ، فقد كان يعرفه جيّدًا ، ويعلم مدى قسوته ، ولامبالاته بالآخرين ، وارتعد صوته وهو يقول :

www.kitab.com.eg
Evaluation copy

— لقد أعطانى أحدهم بطاقة مزيفة من بطاقات المخابرات و ....

قاطعه (فولف) صارخا :

— تقصد رجل المخابرات الأمريكى .. يا لك من غبىّ !!

شحب وجه الجنرال (روزسكى) وهو يردّد :

— أمريكى ؟! يا للمصيبة !!

ثم عاد بلفت إلى الزورق الذى غاب وسط ظلام الليل ، وصاح :

— سأرسل كل زوارقنا خلفه .. سأرسل أفضل رجالنا و ....

قاطعه (فولف) ، وهو يهز رأسه الشبيه بالقأر ، ويقول :

— لن تلحق به الزوارق .. إننا نحتاج إلى شىء أقوى وأسرع .. هل لديك أحد الهليوكوبترات الحربية ؟

تهلّلت أسارير (روزسكى) ، وكأنما تذكر ذلك ، وصاح :

— نعم يا هرْ .. لدينا هليوكوبتر مزوّدة بصاروخين قتالين ، ومدفع رشاش و ....

صاح (فولف) مقاطعًا إيّاه :

— سأستغله فى الحال يا جنرال .. وربما يغفر لك ذلك بعض أخطائك .

وما هى إلا لحظات ، حتى كان (فولف) ينطلق بالهليوكوبتر ، وبحثَ قائدها على الإسراع ، وهو يزفر فى غيظ وحنق ، ويقسم بينه وبين نفسه على تدمير هؤلاء الرجال ، الذين كادوا يمثّلون بأول هزيمة له منذ بدء عمله فى المخابرات السرقية .. وفجأة رأى الزورق الحربى ينطلق على مقربة من الهليوكوبتر ، فأشار إليه وهو يصرخ فى قائد الطائرة :

— هيّا .. انقض على الزورق .. اتسفه .. حطّمه .. لا تدع فيهم سنتيمترًا واحدًا سليمًا .

وفى هدوء المحترفين وثقة المقاتلين ، ضغط قائد الطائرة على زرّ القتال ، وانطلق من جانب الهليوكوبتر صاروخ قوى ، نحو الزورق الذى يحمل (أدهم صبرى) ورفيقيه .

* * *

www.liilas.com/vb3
Evaluation copy

١١ ــ الختـــام ..

لو أن قائد الهليوكوبتر يمتلك أعصابًا فولاذية ، فيمكن القول إن أعصاب (أدهم صبرى) يمكنها شق أعصابه ، كما يفعل السكين بقطعة من الجبن الطازج .. فلقد انطلق الصاروخ نحو الزورق ، وانتظر (أدهم) حتى الثانية الأخيرة ، إلى درجة أن (فولف) صرخ صرخة فوز ، على حين صرخت (منى) صرخة رعب ، وهى تعتقد أن القادمة تحمل لها الموت .. ولكن (أدهم) انحرف بالزورق فجأة فى مناورة رائعة ، فسقط الصاروخ فى الماء ، وغاص طويلًا قبل أن ينفجر ، بصورة ارتج لها الزورق ، وصرخ (فولف) :

ــ يا للشيطان !! هذا الرجل ليس أمريكيًا .. إنه من المخابرات الإنجليزية ، فهؤلاء القوم يحسبون بالدرجة الأولى .

لم يسمع قائد الطائرة ما قاله (فولف) ، فقد شعر بالخنق بسبب إفلات الزورق منه ، واعتبر الأمر مهانة شخصية ، فانقض على الزورق ، وأطلق عليه الصاروخ الثانى ، وهو واثق من إصابته لهدفه ..

وربما كان الظلام ، أو الغضب ، أو مهارة (أدهم) الفائقة ، أو كل هذه العوامل مجتمعة .. المهم فى النهاية أن الصاروخ الثانى قد أخطأ هدفه أيضًا ، والتقجر وسط مياه البحر ، فقفز (ڤون هملن) صارخًا فى سعادة :

ــ لقد نجونا .. إن هذا النوع من الطائرات لا يحمل أكثر من صاروخين .. لقد نجونا .. لقد نجـ ....

وتوقفت حروف الكلمة الأخيرة فى حلقه ، وجحظت عيناه فى ذعر وألم ودهشة ، وارتفع فى نفس الوقت صوت طلقات المدفع الرشاش المتصل بالهليوكوبتر ، واندفعت الدماء من ثقوب شتى فى جسد (ڤون هملن) ورأسه وعنقه .. وسقط هذا الأخير وسط بركة من الدماء ، وقد فاضت روحه ..

Evaluation copy

صرخ (فولف جانج) فى سعادة يستحيل وصفها بالكلمات :

ـــ لقد انتصرت .. لقد قضيت على آخر الجابرة .. لقد حطمت آخر جستابو فى العالم .

قال الطيار فى برود :

ـــ هل نعود ؟

صاح (فولف) ، وقد منحه انتصاره نشوة عارمة :

ـــ لا يا صديقى لا .. لابدّ لنا من تلقين رجل الخابيرات هذا درسًا قاسيًا .. فليكن ألمانيًا أو أمريكيًا أو [illegible] ولكن هذا لن يهم أحدًا .. فلن تبقى منه بقايا تصلح لدفنها حين ننتهى منه ..

* * *

نظرت (منى) إلى جثة (ڤون هملن) فى ذعر ، وصاحت :

ـــ لقد قتلوه يا (أدهم) .. مزقوه إربًا .

صاح (أدهم) وهو يزيد من سرعة الزورق ، حتى تصاعدت الأبخرة من حجرة محركه :

ـــ لقد حصلنا على الملف يا زميلتى ، وهذا هو كل ما يعنينى فى الأمر .

وفى تلك اللحظة ، أصابت رصاصات الهليوكوبتر جزءًا كبيرًا من سطح الزورق ، واختلط صوتها بصراخ (منى) ، وشعر (أدهم) بعجزه ، ولم يكن أمامه سوى مواصلة الانطلاق بالزورق فى خطوط متعرجة ، وهو يناور الهليوكوبتر فى محاولة للإفلات ، على حين أسرعت (منى) تخطف المسدس منه ، واستدارت تطلقه نحو الهليوكوبتر ، وأدهم) فى شحوب ، وهو يقول ساخرًا :

ـــ هل تتوقعين هزيمة هليوكوبتر بمسدسك يا عزيزتى ؟

ولدهشته ولدهشة (منى) ، توقفت الهليوكوبتر عن مواصلة المطاردة ، وبدأت فى الدوران حول نفسها متراجعة ، وحدقت (منى) فى مسدسها بذهول ، وغمغمت :

ـــ ربّاه !! لقد هربوا يا (أدهم) .

خفض (أدهم) من سرعة الزورق الخرف ، واستدار ينطلع إلى الهليوكوبتر ، التى ابتعدت وسط الظلام ، ثم

Evaluation copy

رفع رأسه يتأمل النجوم التى تملأ السماء ، وصاح فجأة :

ـــ رباه !! لقد عبرنا مياههم الإقليمية يا عزيزتى .. لقد نجحنا .

صرخت (منى) فرحًا ، وأجهشت ببكاء السعادة ، على حين ألقى (أدهم) نظرة سريعة على جثة (ڤون هملن) ، وقال وهو يوقف محركات الزورق :

ـــ مسكين أنت يا آخر جبابرة الجستابو .. لقد كافحت طويلًا ؛ كى تغادر هذه الحدود ، ولكنك حين نجحت فى تجاوزها ، كنت مجرد جثة هامدة !

وسار فى هدوء إلى حيث جلست (منى) تبكى ، فوضع يده على كتفها ، وقال فى حنان :

ـــ لقد انتهى كل شىء يا عزيزتى .. لقد نجونا ، وحصلنا على الملف الذى أتينا من أجله .. الوحيد الذى فشل هو (آخر الجبابرة) .

* * *

www.liilas.com/vb3

Evaluation copy